الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مولود معمري- بتيزي وزو -
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
فرع التاريخ

إيالة الجزائر وعلاقاتها بالمغرب الأقصى (العلاقات السياسية والعسكرية 1549م1603م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الجزائر الحديث (1519م-1830م)

- إعداد الطالبة:
- ياسمينة شعلال

إشراف الأستاذة:
زكية فلاح

السنة الجامعية:2024-2025م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري- بتيزي وزو -

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

فرع التاريخ

إيالة الجزائر وعلاقاتها بالمغرب الأقصى (العلاقات السياسية والعسكرية 1549م1603م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الجزائر الحديث (1519م-1830م)

- إعداد الطالبة:
- ياسمينة شعلال

إشراف الأستاذة:
زكية فلاح

إسم الأستاذ	الدرجة	الصفة
1-يعقوب حيمي	أستاذة المحاضر"ب"	رئيسا
2-زكية فلاح	أستاذة مساعدة "أ"	مقررا
3-مسعودة قاسي	أستاذة مساعدة "أ"	مناقشا

السنة الجامعية:2024-2025م

شكر وعرفان

الشكر والحمد لله، جل في علاه، فاليه ينسب الفضل كله في اكمال والكمال يبقى لله وحده هذا العمل.

وبعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، فأنني أتوجه الى أستاذتي الدكتورة زكية فلاح بالشكر والتقدير الذي لن تفنيها أي كلمات حقها، فلولا مثابرتها ودعمها المستمر ما تم هذا العمل.

وبعدها فالشكر خاص لجميع أساتذة قسم التاريخ الحديث جامعة مولود معمري تامدة، ولكل أساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم في كل مراحل دراستي حتى أتشرف بوقوفي أمام حضراتكم اليوم .

الاهداء

اهدي هذا العمل المتواضع لعائلتي وخصوصا الوالدين الكريمين فقد كانا خير دعم لي طوال مسيرتي الدراسية.

اهدي هذا العمل الى ام زوجي التي كانت تشجعني دائما لمواصلة دراستي.

الى رفيق الدرب وصديق الأيام جميعا بحلوها ومرها زوجي الغالي فشكرا على ثقتك ودفعي نحو الأفضل.

الى ديهية وسعاد اللتان كانا سندا لي في هذا العمل ولكل خطوة أخطوها.

مقدمة

شهد المغرب الأوسط (الجزائر)، والمغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر، تحولات سياسية وعسكرية هامة، عنى المغرب الأوسط (الجزائر) من ضعف وتفكك سياسي ولد عنه التحرش الصليبي، ثم الغزو الاسباني الذي استولى على عدة مدن ساحلية مهمة، هذا ما دفع أعيان المغرب الأوسط (الجزائر) الاستنجاد بالعثمانيين لمواجهة التوسع الاسباني، وهكذا تم إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية رسميا سنة 1519م.

لا تختلف المغرب الأقصى عن جارتها المغرب الأوسط (الجزائر)في المشاكل الداخلية، فقد عانت الدولة الوطاسية من الضعف الداخلي، التفكك السياسي وعجز عن مواجهة التوسع الايبيري (الاسبان والبرتغال)على سواحلها، في ظل هذه الأوضاع ظهرت الأسرة السعدية في المغرب الأقصى، على أساس ديني سياسي هدفهم مقاومة الغزو الصليبي الإسباني والبرتغالي الذين استولوا على معظم موانئ المغرب الأقصى، وتوحيد البلاد تحت الحكم السعدي. أما الجزائر بعد استقرار الحكم العثماني بدأت في التبلور كقوة بحرية وبرية مهمة. من جهة أخرى الأسرة السعدية رفضت التدخل العثماني الكلي في المغرب الأقصى، رغما أن هدف الدولة العثمانية هو توحيد الأقطار الإسلامية من الخطر الأجنبي. لهذا لم تكن العلاقة بين هاتين القوتين –السعديين في المغرب الأقصى الذين تمكنوا من توحيد البلاد ومواجهة التوسع البرتغالي،والقضاء على الحكم الوطاسي الذي عجز على تصدى للحملات الصليبية–، وإيالة الجزائر تحت الحكم العثماني الذين يمثلون إمبراطورية ذات نفوذ عالمي علاقة استقرار دائم، بل اتسمت بالتنافس والصراعات المتكررة وكل منها تسعى لترسيخ سلطتها وتوسيع نطاق نفوذه على حساب الأخرى. نتيجة لهذه الطموحات المتضاربة نشأت سلسلة من التوترات والمواجهات العسكرية المتقطعة بين إيالة الجزائر والمغرب الأقصى خلال هذه الفترة. فالموضوع المذكرة التي بصدد دراستها المرسوم ب " إيالة الجزائر وعلاقاتها بالمغرب الأقصى (العلاقات السياسية والعسكرية 1549م–1603م)."

–أسباب وهدف إختيار الموضوع:

1–أهمية موضوع البحث في موضوع حول إيالة الجزائر وعلاقاتها بالمغرب الأقصى في الفترة 1549م–1603م.

2–الرغبة الشخصية في فهم واكتشاف والاطلاع على سبب عدم إنضواء المغرب الأقصى تحت الراية العثمانية واختلافها على الأقطار العربية الإسلامية الأخرى.

3-معرفة طبيعة العلاقة السياسية والعسكرية بين إيالة الجزائر والمغرب الأقصى في الفترة الممتدة ما بين 1549م-1603م.

-الإطار الزماني والمكاني:

حدد الإطار الزماني بالسنة الميلادية (1549م-1603م) الجزائر التي كانت تحت الحكم العثماني (مرحلة البيلربايات)، والمغرب الأقصى الذي يعاني من الصراع بين الأسرة الوطاسية والأسرة السعدية من جهة، وتعرضه للغزو الإسباني البرتغالي من جهة أخرى.

أما الإطار المكاني بين بلدين متجاورين المغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى .

-الإشكالية: بعد التعرف على الموضوع تم وضع الإشكالية التالية:

ماهي طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين إيالة الجزائر والمغرب الاقصى خلال الفترة الممتدة ما بين 1549م-1603م؟

وتتفرع هذه الإشكالية إلى عدة تساؤلات:

-ماهي الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط (الجزائر)والأقصى خلال القرن السادس عشر ميلادي؟

-هل كانت علاقات عداء وتخوف أم تنافس بين قوتين الجزائر العثمانية والمغرب الأقصى؟

-ما هي تداعيات وجود العثمانيين في الجزائر على المغرب الأقصى؟

وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدت على الخطة التي تضمنت مقدمة فيها قمت بتعرف على الموضوع، وفصلين رئيسيين، تناولت في الفصل الأول المغرب الأوسط (الجزائر)،والأقصى خلال القرن السادس عشر ميلادي قسمته الى ثلاثة مباحث في المبحثين الأول والثاني فيه تعرضت الى الأوضاع السياسية للبلدين، وأسباب تعرضهما للغزو الصليبي البرتغالي الإسباني، أما المبحث الثالث فخصصته للصراع الوطاسي السعدي على عرش المغرب الأقصى. بعد القضاء على الأسرة الوطاسية من طرف السعديين، تنازع الإخوة أحمد الأعرج السعدي ومحمد الشيخ السعدي على حكم المغرب الأقصى.

أما الفصل الثاني خصصته للمواجهات العسكرية التي حدثت بين إيالة الجزائر والمغرب الأقصى، بدوره ينقسم إلى ثلاث مباحث، الأول والثاني قسمته الى فترات زمنية، فالمبحث الأول حروب الفترة الممتدة

من سنة 1550م إلى غاية 1558م كان المغرب الأقصى تحت حكم محمد الشيخ السعدي الذي قضى على الحكم الوطاسي في المغرب الأقصى لينفرد له الحكم، لكن أخر سلاطين الدولة الوطاسية أبو حسون لجأ إلى إيالة الجزائر يطلب المساعدة من السلطان العثماني سليمان القانوني، في نفس الوقت كان محمد الشيخ السعدي يريد التوسع على حساب أراضي إيالة الجزائر بالسيطرة على تلمسان إحدى المدن التابعة لها سنة 1550م.بأمر من السلطان العثماني إلى باشا إيالة الجزائر وضع حد للمحمد الشيخ السعدي الذي التجأ الى الدول الصلبية الإسبان والبرتغال والإتفاق معها للقضاء على الدولة العثمانية وعدم تدخلها في شؤون المغرب الأقصى. أما المبحث الثاني فعالجنا فيه حروب الفترة الممتدة من سنة 1558م إلى 1576م، تم القضاء على محمد الشيخ السعدي، فخلفه إبنه عبد الله الغالب السعدي الذي سار على نهج والده في موالاة الإسبان والدخول في صراعات مع إيالة الجزائر بسبب تخوفه من أخويه عبد الملك وأحمد المنصور الذين لجأو إلى مدينة الجزائر فرار من ظلم أخيهم.

أما المبحث الثالث خصصته لحروب الفترة الممتدة ما بين 1578م-1581م،معركة وادي المخازن سنة 1578م، التي انتصر فيها السعديون على البرتغال، سميت كذلك بمعركة الملوك الثلاث بسبب موت ثلاث ملوك الملك البرتغالي دون سبستيان إضافا الى محمد المتوكل السعدي والسلطان المغرب الاقصى عبد الملك السعدي، فجل المصادر والمراجع التي اطلعت عليها تشير أن عبد الملك المعتصم كان مريضا قبل سنة من المعركة فإشتد عليه المرض أثناء المعركة ومات فيها.وفي سنة 1581م شنى علج على حملة عسكرية على المغرب الأقصى بأمر من السلطان العثماني مراد الثالث، لكن هذه الحملة لم تكتمل.

ختمت هذا البحث بخاتمة وقد تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها، كما دعمته ببعض من الملاحق.

-المنهج المتبع:

إعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي المتعارف عليه في الدراسات التاريخية الأكاديمية، وإن طغى عليه الجانب السردي لأنه يولي أهمية كبيرة لوضع الأحداث في سياقها التاريخي للفهم بشكل أفضل كما يساعد السرد على ربط الأحداث ببعضها البعض وإظهار العلاقات المتبادلة بشكل أوضح، ومن خلال إتباع المنهج السردي تمكنت من إبراز الصراعات والتحديات والتغيرات التي مرت بها الأحداث من خلال وجهات نظر مختلفة بتسلسل زمني، بإختصار المنهج السردي في البحث التاريخي هو أداة قوية لفهم الماضي ونقله للأخرين

الدراسات السابقة:

بالنسبة للذين تناولا موضوع الدراسات، فقد صادفنا أن اطلعنا على دراسات سابقة لكن من وجهات نظر مختلفة وإطار زماني مختلف:

-روابحي نذير، سياسة الدولة العثمانية إتجاه المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن 10هـ/16م(956-1011هـ/1550م/1603م)، أطروحة دكتوراه، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، 2022م-2023م.

كما إعتمدت في هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع:

-**المصادر:**

-وصف إفريقيا لحسن الوزان (ليون الإفريقي) يعتبر هذا الكتاب من المصادر المهمة خلال القرن السادس عشر، من أهم كتب الرحالة فكانت النسخة الأصلية بإيطالية ترجم إلى عدة لغات منها العربية على يد محمد الحجي، محمد الأخضر، في هذا الكتاب تتطرق المؤلف إلى وصف كل المناطق التي زارها خلال رحلته ونقل كل ما شهده، فهو يعتبر من المصادر المهمة في تاريخ المغرب الحديث، يتألف من جزئين استفدت منهما في هذه الدراسة في التعرف على المدن المغربية، إعتمدت عليه في الفصل الأول.

-إفريقيا لمارمول كربخال، ترجمه محمد حجي وأخرون، يعتبر من المصادر المهمة التي كتبت خلال القرن السادس عشر أسر كربخال من طرف السعديين لمدة سبع سنوات. استعنت به في الفصل الأول.

-تاريخ الشرفاء ألفه دييقو دي طوريس الذي سافر إلى المغرب وهو صغير السن مع راهب كان يعمل في إفتداء الأسرى، حيث كان شاهد عيان على الأحداث مكث في المغرب مدة طويلة وخلالها كتب ما شهده عن السعديين، ترجمه محمد حجي ومحمد الأخضر، إعتمدت عليه فيما يتعلق بالدولة السعدية بالنسبة لي كانت لغته صعبة.

-نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، لمحمد الصغير الأفراني، من المصادر المهمة التي تحدثت عن الدولة السعدية ونظرا لفصاحة لغته فقد إقتبست منه لتأكد من صحة المعلومات، استعنت به في الفصل الأول والثاني.

-مناهل الصفا في مأثر مواليا الشرفاء ألفه فارس عبد العزيز القشتالي، المؤرخ الرسمي للدولة السعدية، كتب هذا الكتاب بطلب من السلطان أحمد المنصور السعدي، وخلال تطرقي لهذا الكتاب اتضح لي نوع من الذاتية من خلال إستعماله بعض الكلمات مثل "مولاي" "رحمه الله" وغيرها.

-المراجع:

-كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، من تأليف أبو العباس أحمد بن خالد الناصري يحتوي على تسعة أجزاء إعتمدت في هذه الدراسة على جزئيين الرابع والخامس يعتبر من المراجع المهمة جدا كونه تحدث على مختلف العصور التي مر بها المغرب الأقصى ولا يمكن دراسة أوضاع المغرب الأقصى دون الإستعانة به.

-العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الجزء الأول لعمار بن خروف، هو أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الجزائر، أشر في مقدمة كتابه أن مضمون هذا الكتاب قسما من رسالته في الماجستر، وخلال دراسة العلاقات السياسية بين البلدين الجزائر والمغرب الأقصى لا يمكن الإستغناء عنه، استعنت به في كامل المذكرة.

-المغرب في عهد الدولة السعدية، لعبد الكريم كريم من بين المراجع المهمة التي تطرقت إليه، لا يمك الإستغناء عليه في هذه الدراسة. قام المؤلف بتحقيق أهم مصادر الدولة السعدية لعبد العزيز القشتالي، وكذلك لتناوله مواضيع عديدة عن الدولة السعدية وفصل فيها تفصيلا دقيقا. إعتمدت عليه في كامل المذكرة.

-إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين الى نهاية السعديين، في هذا الكتاب حاول المؤرخ أن يصنع حقائق التاريخ المغربي، يعتبر من المراجع الجد قيمة، إعتمد عليه في كامل المذكرة.

- الصعوبات المعترضة:

-من بين الصعوبات التي واجهتني في جمع المادة العلمية من مصادرها ومراجعها صحيح أنها متنوعة ولكنها تتناول نفس الأفكار والأحداث.

-ومن الصعوبات التي واجهتني المصادر التي تتحدث عن المغرب الأقصى معقدة أو مكتوبة بالغة صعبة فمثلا مضمون الكتاب دون عناوين أو يكون بشكل أبيات شعرية فمن الصعب جدا تحديد الفترة الزمنية التي يتحدث عنها المؤرخ .

الفصل الأول: المغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر ميلادي.

المغرب الأوسط (الجزائر)والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث

المبحث الأول: الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط (الجزائر) خلال القرن السادس عشر

1_ الضعف والانقسام السياسي.

2_ الغزو الخارجي الاسباني ودوافعه.

3_ بروز الاخوة بربروس في الحوض الغربي للمتوسط وانضمام الجزائر الى الدولة العثمانية.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية للمغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر.

1_ ضعف المرينيين وبروز الوطاسيين.

2_ الغزو البرتغالي الاسباني للمغرب الأقصى.

3_نهاية بني وطاس وبداية الدولة السعدية.

المبحث الثالث: الصراع الوطاسي السعدي.

1_ معركة انماى1528م.

2_ معركة بوعقبة 1536م.

3_ النزاع بين الاخوين السعديين احمد الاعرج ومحمد الشيخ.

4_معركة درنة 1545م.

عرف القرن السادس عشر تحولات جذرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط إثر سقوط دولة الموحدين وانقسم المغرب الإسلامي الى ثلاث دويلات متصارعة، نتج عنه تدهور الأوضاع الداخلية وبروز الأطماع الخارجية وتفوق الضفة الشمالية المسيحية على الضفة الجنوبية الإسلامية، وعلىإثر هذه الأحداث أخذت اسبانيا تشن حملات على المغرب الأوسط، أما عن المغرب الأقصى كان التنافس قائما بين كل من اسبانيا والبرتغال على احتلال مناطقها. هذا ما استدعى الى بروز قوة ثالثة المتمثلة في الدولة العثمانية.

الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط (الجزائر) خلال القرن السادس عشر ميلادي:

1- الضعف والانقسام السياسي:

مر سقوط دولة الموحدين بمرحلة طويلة وخرج من ذلك المخاض الطويل ثلاث دويلات ظلت تتنازع على السلطة وتحاول كل منها أن تتوسع على حسب جارتها، و من أهمها دولة بني حفص في المغرب الأدنى، دولة بني زيان في المغرب الأوسط، دولة بني مرين الذي تفرع منه بني وطاس في المغرب الأقصى.[1]وطول ثلاث قرون (12م – 15م) أضعف هذه النزاعات الكيانات السياسية، كما ساهمت عوامل أخرى في تقهقر الممالك وتراجعها منها توقف الحركة التجارية الداخلية، ركود الحياة العلمية وأصبحت السلطة غير قادرة على فرض سلطتها.[2] اتسمت تلك الفترة التاريخية بالتداخل والتعقيد والغموض واشتدت النزاعات التاريخية وتتابعت الهجمات الخارجية [3]. يذكر عمار بن خروف في كتابه العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى،على أن المغرب الأوسط (الجزائر) التي اضطربت أحوالها وتجزئت الى عدة وحدات سياسية صغيرة متنافرة لا يسود بينها الوئام فأغلب المدن الساحلية(وهران. تنس.شرشال. دلس. بجاية. جيجل. القل) وغيرها كانت في مطلع القرن السادس عشر ميلادي إما تحت حكم أمير زياني منشق عن الدولة الزيانية او عن الدولة الحفصية[4].

عاشت الدولة الزيانية ظروف صعبة طيلة تاريخها، ونتج عن ذلك حرمان الامارة الزيانية من البروز كدولة مستقلة وحرمت من قاعدتها البشرية المستقرة بفعل الهجرة الداخلية المستمرة التي فرضتها الحروب المتكررة مع الجيران الأمر الذي كان يجبر الأهالي على النزوح بحثا عن أماكن أكثرأمنا[5]. هذاماأكده حسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا "غير انهم اضطهدوا من قبل ملوك فاس أي بني مرين. الذين احتلوا مملكة

[1]محمد علي الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، دط، عمان، دار البيارق، 1998، ص. 235.
[2]عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر. تونس. المغرب. ليبيا) ديوان المطبوعات الجامعية.،8-2013م، ص.9.
[3]محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص.235.
[4]عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ج1.ط2، دار الامل ،2016. ص.19.
[5]محمد دارج، الدخول العثماني الي الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512-1543)، تصدير، ناصر الدين سعدوني، ط1، دار الاصالة،2012، ص.89.

تلمسان نحو عشر مرات حسبما جاء في التاريخ" وكان مصير ملوك بني زيان حينئذ اما القتل أو الأسر أو الفرار.[1]فكان حال الانقسام السياسي قد ظهر بشكل واضح، فقد أصبحت القبائل والأمراء وزعماء الطرق الدينية يتمتعون بالاستقلالية، كما كانت بعض المدن والقرى تشكل وحدات دول مستقلةخاصة الساحلية منها، مثل مدينة واهران، تنس، شرشال، دلس، الجزائر، كذلك القل وجيجل. وتأسست ببعض المناطق الجبلية امارات، فمثلا كانت مدينة وهران قبل الاحتلال الإسباني خارج سلطة تلمسان. وفي مملكة تلمسان كان كبار الأعيان قد تحرروا من الوصاية الملكية، بل أصبح الكثير من ذوي الطموح السياسي يجندون لصالحهم أعدادا من الأفراد من أجل مكافحة السلطة القائمة في تلمسان.أما المغرب الأوسط (الجزائر) فكانت مدنه الساحلية في حالة استقلال.[2]

2-الغزو الخارجي الاسباني ودوافعه:

بعد سقوط أخر معقل المسلمين في الاندلس 2جانفي 1492م، كلفت ايزابيل ملكة قشتالة وزوجة فرناندو الكاثوليكي ملك الأرغون، حاكم مدينة القلعة في الأندلس بمهمة سرية أداها بكل كفاءة ونجاحوهي استطلاع الأمور والمواقع في تلمسان للاعداد لاحتلالها. رجع بكل المعلومات المطلوبة والضرورية لحملة الغزو،وبعد جمع هذه المعلومات قررت الملكة ايزابيل أن تغزو مملكة تلمسان. لكن موت ايزابيل سنة 1504م أوقف مؤقتا تنفيذ العملية، وفي وصيتها كتبت ما يلي: "انه لا ينبغي إيقاف غزو افريقيا. ولا انهاء الصراع ضد الكفار (أي المسلمين) من اجل العقيدة"[3].كما هناك دوافع أخرى للغزو أولا هي:

أ-الدافع الديني:

الطموح المسيحي والحقد الصليبي الذي ظل حيا في نفوس الكثير من رجال السلطة الدينيةوالدنيوية منذ الحروب الصلبية في المشرق، لينتقل الى بلاد المغرب وقد ركز مؤرخي الكردينال خيمينيس على الأسباب الدينية للمشاريع الاسبانية في بسط نفوذها على السواحل الافريقية المقابلة لها، فأصبحت اسبانيا تعتبر نفسها تمثل العالم المسيحي بعدما تمكنت من القضاء على الوجود الإسلامي في شبه جزيرة أيبيريا.[4]وعلى إثر ذلك أخذت تنشط في هذا السبيل لبسط نفوذها والتوسع على حساب الممالك المغاربية فكان للتعصب الديني والرغبة في وقف المد الإسلامي (أي الفتوحات التي كانت تقوم بها الدولة العثمانية خاصة

[1]حسن الوزان، وصفافريقيا، (ليون الافريقي)، تر، محمد حجي، محمد الاخضر، ج2، ط2، دار الغرب الاسلامي ،1983، ص.8.
[2]عبد القادر فكاير، الغزو الاسباني لسواحل الجزائرية (1505م1792م) دراسة تتناول الأثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، دط، دس، ص.26.
[3]مولد قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجرائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1 ،ط2، دار الامة، الجزائر،2007، ص ص.51-54.
[4]عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص.15.

بعد فتح القسطنطينية) في القارة الأوروبية منذ أواخر القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر، دفعت الاسبان على الزحف الى البلدان الإسلامية في شمال افريقية.[1]

ب-**الدافع السياسي:**

كتحقيق سيادة الاسبان على الحوض الغربي للمتوسط التيلا تتم بدون احتلال الشواطئ الجزائرية،وتدعم العالم المسيحي عن طريق زيادة شعبيتهم بغزو البلدان الإسلامية [2].

انعكس الاحتلال الاسباني لسواحل الجزائرية بشكل سلبي على مسلمي الأندلس، إذ لم تعد الموانئ الجزائرية قادرة على إرسال الإمدادات إليهم، والتخفيف عنهم مما يلاقونه من اضطهاد وظلم .

ج_ الدافع الاقتصادي:

التغيرات السياسية والاقتصادية التي حدثت في أوروبا مطلع القرن السادس عشر فالانهيار الاقتصادي الرهيب الذي تعرضت له اسبانيا بعد طرد المسلمين واليهود من أراضيها، الذي يشكلون العمود الفقري لاقتصاد وبذهابهم تعطل الإنتاج ما دفعها للبحث عن موارد مالية أخرى خارج حدودهم السياسية المعروفة وكذا كما سيطرت عليه اسبانيا من مناطق الذهب في القارة الامريكية المكتشفة حديثا، فراحت تبحث لنفسها عن أسواق جديدة لترويح منتجاتها، وموارد مالية لتمويل حروبها في أوروبا.[3]

نظرا لهذه الدوافع وتنفيذا لوصية الملكة إيزابيلا تم تجهيز حملة عظيمة وكان الهدف منها احتلال بلاد المغرب الإسلامي وتنصيرها، وجهت الحملة [4]ليسيطروا على ميناء المرسي الكبير في مدينة وهران الذي سقط في يدي الملك الكاثوليكي فرناندو فكان ذلك خسارة كبيرة للمغرب الأوسط (الجزائر).[5]يرجع اختار الاسبان ميناء المرسى الكبير لبداية عملياتهم الاستعمارية على الثغور المغاربية في الشمال الافريقي، الى موقعه الهام وصلاحية الميناء لرسو السفن، بإضافة الى أنه كان مأوى التجار المسلمين الذين يغيرون على السفن والسواحلالاسبانية. وبعد معركة مع القوات المدافعة عن الميناء احتل جنود الاسبان المرسى الكبير في سنة 1505م وثبتوا اقدامهم فيه ليتخذوه نقطة انطلاق للاحتلال المناطق الأخرى.[6] اتجهت الأنظار بعدها الى مدينة وهران، رغم المقاومة الشديدة فقد سلمت غدرا للإسبان سنة 1509م.[7]أما مدينة بجاية التي كانت تعاني من الصراع على العرش الذي كان جاريا بين الأمير عبد الرحمن الحفصي وابن

[1] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص.20.
[2] عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص.18.
[3] محمد دراج، المرجع السابق، ص ص.134-137.
[4] عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص. 12.
[5] حسن الوزان، المصدر السابق، ص.9.
[6] شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديثليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، ط1، مكتبة الانجو المصرية ،1977، ص.85 .
[7] عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص.12.

أخيه عبد الله فالإسبان لم يكون غفلين عما يجري داخل القصر من نزاع، وهكذافانهم ما ثبتوا أقدامهم في مدينة وهران حتى شرعوا يعدون حملة لاحتلال بجاية وجعلها قاعدة انطلق لاحتلال مدينة القل، ومدينة عنابة، وصل الاسطول الاسباني المكون من 20 سفينة تحمل 10.000 مقاتل الى مدينة بجاية يوم 5جانفي 1510م[1].بعد احتلال مدينة بجاية، توجه الاسبان الى عنابة واحتلوها سنة 1510م تركوا فيها حامية عسكرية لحراستها. في الوقت الذي عجز حكام بني حفص وبني زيان على رد الخطر الاسباني، دفع بقية المدن من وسط وشرقوغرب بلاد المغرب الأوسط تستسلم للإسبان منها (دلس شرشال تنس الجزائر مستغانم) وتعهدهم على دفع الجزية خوفا من المصير المأساوي الذي لقته مدينتا وهران وبجاية. فقد وقع أعيان مدينة الجزائر معاهدة لاستسلام تقدم بها سالم التومي يوم 31جانفي 1512م بصفته شيخ أعيان المدينة الى القائد الاسباني بيدرو نافارو بالمقابل دفع ضريبة باهضة مع إطلاق سراح الأسرى المسيحين في المدينة.[2]وهنا نجد أن الاسبان استعمل طرق مختلفة في فرض سيطرتهم على المدن الساحلية للمغرب الأوسط (الجزائر)، من أهمها طرقتان رئيسيتان هما أسلوب القوة العسكرية ،وأسلوب فرض المعاهدات على زعماء المناطق التي وصلوا اليها ،تحت طائلة التهديد[3]، وقد نتج عن هذه الموجات الاحتلالية سقوط المراكز التجارية الرئيسة لبلدان المغرب في يد المسيحين ولم تستطيع أنظمة الحكم التقليدية على المواجهة وعليهفان الخلاص، لا يمكن ان يأتي الا من خارج النظام التقليدي.[4]

3-بروز الاخوة بربروس في الحوض الغربي للمتوسط وانضمام الجزائر الى الدولة العثمانية:

أول ظهور للإخوة بربروس في مدينة تونس بعدأن طلبوا من السلطان الحفصي مكانا يلجاون اليه،بعدما قدموا اليه الهدايا الكثيرة. فوافق السلطان الحفصي على ذلك مقابل دفعهم خمس الغنائم التى يتحصلون عليها، كذلك شرط الا يتخاصموا مع سكان المنطقة وقد منحهم مكانا في ميناء حلق الوادي للإقامة فيه بشكل دائم. عمل الاخوة بربروس على تقوية مراكزهم وحصنوه بشكل قوي ومن ثم خرجوا الى البحر باحثين عن الغنائم البحرية،[5]اللذين كانوا من أشهر قراضة البحار آنذاك. فقد لجا إليهم المهاجرون الأندلسيون لمساعدتهم على اللجوء الى مدينة الجزائر.

---

[1] محمد دراج، المرجع السابق، ص.112.

[2]أسماء ابلالي، **"التحرشات الاسبانية على سواحل الجزائرية خلال القرن 16م قراءة في الدوافع والنتائج،"** مجلة روافد للبحوث والدراسات الجامعية، العدد 2، جامعة غرداية، 2017، ص ص.45-46.

[3]عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص.33.

[4]عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص.15.

[5]عزيز سامح التر، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر، محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، 1979م، ص ص.42-43.

بعث الأمير الحفصي في عام 1512م الى الاخوة بربروس ليستنجدوا بهم فلبى الاخوة النداء متوجهين الى مدينة شرشال لمواجهة الاسبان كما تمكنا من دخول مدينة الجزائر.[1]يقول خير الدين بربروس في مذكرته "عندما كنت مع أخي في مدينة جيجل وصلت وفود عديدة من المدن الجزائرية. كان أهمها وفد مدينة الجزائر التي تمثل مركز البلاد كان أهالي الجزائر يشكون من ظلم الاسبان ويرجون تدخلنا لإنقاذهم، فخرج أخي عروج في خمسمائة بحار متجها الى مدينة الجزائر."[2]

تمكن الاخوة بربروس من دحر محتلين الاسبان،[3]بعد هذا النصر قرر خير الدين ترك المدينة للجزائريين جمع أهلها من أعيان و صلحاء و علماء ليخبرهم بذلك، لكن هؤلاء أصروا على اقامته في مدينة الجزائر[4]، قبل خير الدين البقاء لكن بشرط الدخول تحت لواء الدولة العثمانية، فاقنع أعيان مدينة الجزائر بإرسال عريضة الى السلطان العثماني سليم الأول[5]يعرضون فيها رغبتهم في ضم بلدهم الى ممتلكات الدولة العثمانية، فوافقوا على ذلك و ارسلوا وفدا الى إسطنبول.[6]احسن السلطان سليم استقبال الوفد ثم ارسل فرمان لاعيان مدينة الجزائر يعلن فيه قبوه وبذلك ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية،[7]في سنة 1519م تم تعيين خير الدين بربروس[8] بايلرباي على الجزائر. وامدوه بألفين من الجند الإنكشاري وعدد من المدافع، تمكن من اثبات وجوده في الايالة[9].

منذ بداية الحكم العثماني الرسمي للجزائر والى غاية سقوطه 1830م حكم العثمانيون الجزائر حكما عسكريا مر بمراحل رئيسة وهي

مرحلة البيلربايات(1519م-1587م)

مرحلة الباشوات (1587م-1659م)

مرحلة الاغوات(1659م-1671م)

مرحلة الدايات (1671م-1830م) [10]

---

[1]محمود السيد، تاريخ دولة المغرب العربي (ليبيا -تونس -الجزائر – المغرب – موريتانيا) دط، مؤسسة شباب الجامعة، لإسكندرية، 2000م، ص.163.

[2]خير الدين بربروس، مذكرة خبر الدين بربروس، تر، محمد دراج، ط2، دار طيطلية،2015م، ص82.

[3]محمود السيد، المرجع السابق، ص.163

[4]عمار بن خروف، المرجع السابق، ص.28.

[5]السلطان سليم الاول(512م-1520م) تربع على العرش العثماني سنة 1512م وقد اظهر سليم منذ بداية حكمه ميلا الى تصفية خصومه ولو كانوا من اخوانه وأبنائهم. اول عمل قام به هو تعين ابنه الوحيد سليمان حاكما على إسطنبول توفي سنة 1520م. ينظر، سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، ط1، مكتبة الامام الذهبي ،2014، ص.307.

[6]ينظرالملحق رقم1 ، اول رسالة من أهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الأول، عبد الجليل التميمي، نشرها في مجلته، المجلة التاريخية المغربية، عدد 6، جويلية1976، ص.119.

[7]عمار بن خروف، المرجع السابق، ص.29

[8]خير الدين اسمه خضر اشتهر بلقب بربروس، أي ذو اللحية الشقراء وأطلق عليه السلطان سليم الأول لقب خير الدين ولد في حدود سنة 1472م بجزيرة ميديلي بعد أخيه عروج. ينظر، محمد دراج، المرجع السابق، ص.165.

[9]محمود السيد، المرجع السابق، ص.163.

[10]عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص ص.25-27-28.

الأوضاع السياسية للمغرب الأقصى خلال القرن السادس عشرميلادي:

1_ ضعف المرينيين وبروز الوطاسيين:

تنسب دولة بني مرين الى فخذ قوى من قبيلة زناتة التي تسكن الصحراء وينتقلون ما بين وادملوية ومدينة سجلماسة أي من القبائل الرحالة،وكانت لهم اتصالات قوية حينا وضعيفة حينا أخرى بالدول التي تحكم المغرب. كما شاركوا في موقعة الارك 1195م بقيادة الأمير محيوبن ابي بكر المريني وكان الانتصار حليف الموحدين مما زاد من أهمية المرينيين داخل الدولة الموحدية،ورغم ذلك لم يفكر المرينيين في التوغل داخل بلاد المغرب الأقصى والاستقرار فيها الا في سنة 1213م إثر الهزيمة الكبرى التي الحقت بالموحدين في الاندلس في معركة العقاب.[1]ولقد تقدم المرينيين من وادي ملوية بالمغرب الأوسط (الجزائر) بقيادة الأمير عبد الحق بن محيو المريني الى بلاد المغرب الأقصى، حيث ظل الصراع ثمانية وخمسين عاما بين المرينيين والموحدين حيث انتهى الصراع على يد السلطان ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق عندما انتصر في موقعة وادي غفو، وقضى على اخر معقل للموحدين. دخل مدينة مراكش في المغرب الأقصى عام 1269م هذا التاريخ يبدا عصر بني مرين [2].(قبل لإشارةالى أصل بني وطاس الذي هو موضوع الدراسة يجدر بنا أولا ذكر بني مرين لان أغلب الدراسات تشير الى ان بنى وطاس فرع من بنى مرين) .[3]

أ-**أصل بن أصل بني وطاس** ليس من السهل تحديد أصل بني وطاس. لان بني مرين لم يكونوا قبيلة واحدة بل كانوا قبائل متعددة [4].فان بني وطاس فخذ من بني مرين[5] لكنهم ليسوا من بني عبد الحق وكانت الرياسة فيهم لبني الوزير، وبنو الوزير يزعمون ان نسبهم دخيل في مرين وانهم من اعقاب يوسف بن تاشفين التمتوني.[6]ونجد رأى اخر بان الوطاسيين عائلة كبيرة من بربر زناتة ظلت تشارك المرنيين في شؤون الحكم والملك على مستوى الوزرات ودونها من المسؤوليات التي كانوا يتقلدونها وقد سعت هذه العائلة كل نفوذها الى الاقتيات من ضعف المرينيين من التمكن والتغلغل في مقاليد الحكم. [7]بعد وفاة ابي عنان

---

[1]عطا الله محمد شحاته ريه، اليهود في بلاد المغرب الاقصى في عهد المرينيين والوطاسين، ط1، دار الكلمة، 1999، ص39.

[2]نفسه، ص.38

[3]الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري، الاستقصا لإخبار دول المغرب الاقصى، الدولة المرينية، تح، تع، جعفر الناصري، محمد الناصري، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص.78.

[4]إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، من بداية المربنين الي نهاية السعديين، ط1،المجلد2، دار الرشاد الحديثة ،1978.ص.194.

[5]بني مرين ظهر بنو مرين لما دخلت دولة الموحدين في دور الاختصار ونشبت معارك فاصلة بين الموحدين وبنو مرين انتهت بسقوط مراكش في ايدي المرنين وحظا المغرب مرة اخرى في هذا العهد خطوات جبارة في ميدان الحضارة والعلم ونعم المغرب تحت حكم المرنيين بالاستقرار والسلم والرخاء أكثر من قرنيين كاملين. ينظر، الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ط3، دار الغرب الاسلامي، دار الثقافة ،1984،ص.19.

[6]الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري، الاستقصا لإخبار دول المغرب الاقصى، الدولة المرينية، تح، تع، جعفر الناصري، محمد الناصري، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954،ص.78.

[7]ابراهيم بودوخة، **"الاحوال العامة للمغرب الاقصى في مرحلة الحكم الوطاسي،"** مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 2 ،العدد2 جامعة محمد لمين دباغين. سطيف 2بالجزائر، (368-405)،2023، ص.10.

الذي يعد أخر السلاطين الأقوياء في الدولة انتقلت السلطة الفعلية من يد السلاطين الى يد الوزراء وكان ذلك يشكل خللا في الجهاز الحكم للدولة، حيث كانت السلطة الفعلية في يد بني وطاس،وقد هيمنوا على السلطان عبد الحق الذي تولى الحكم سنة 1427م ولما انتبه الى استبدادهم بالأمر انزل بهم وقعة استأصلت كثيرا منهم ولم ينجوا من المذبحة سوى بعض الوطاسيين.[1]

ومن الأسباب التي أدت الى انهيار الدولة المرينية، تعيين في منصب الوزارة شخصيتين من اليهود هما هارون وشاويل حيث اندلعت الثورات في كل مكان من الدولة وتم بضرب عنق السلطان أبي سعيد عثمان 1465م وبايعت جماهير فاس الشريف أبا عبد الله الجوطي ولم يستطع إدارة الدولة، فبدأ محمد الشيخ الوطاسي الزحف من مقره بمدينة أصيلة للاستيلاء على فاس. فبرز له الشريف الجوطي والتقى الجيشان بأحواز مكناسة وانتصر الجيش الوطاسي ودخل محمد الشيخ الوطاسي فاس عام 1471م. وانصرف لنشر سلطاته وتثبت حكمه في القبائل المجاورة لفاس وسائر المغرب الأقصى وبذلك قامت دولة بني وطاس.[2]

ب-عوامل تأسيس دولة بني وطاس: سواء كانت دولة بني وطاس امتداد لدولة بني مرين او محاولة لإعادة حكم الصنهاجيين فقد كان بنو وطاس يرمون الى محاولة انقاذ البلاد من الفوضى. ويمكننا استخلاص عوامل تأسيس دولة الوطاسيين فيما يلي:

_ محاولة إيجاد حكومة مركزية يعترف بشرعيتها كل المغاربة.

_ محاولة ضبط الشؤون الداخلية سياسيا وإداريا متى يتم القضاء على أصحاب الفتنويستعيد المغرب ازدهاره.

_ محاولة القضاء الخطر الخارجي.[3]

ج-حكام بني وطاس:

أبو عبد الله محمد الشيخ بن يحي (1470م_1504م).

أبو حسون ابي حسن علي بن محمد (1525م_1553م).

أبو العباس احمد بن محمد البرتغالي(1525م_1545م).

الناصر لدين الله محمد القصري بن احمد (1545م_ 1549م).[4] [5]

[1] عطا على محمد شحاته رته، المرجع السابق،ص.42.

[2] نفسه، ص.43.

[3] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص .195-196.

[4] نيرة رفيق، جلال فتحي، أعمال المؤتمر الدولي الأول مصر ودول البحر المتوسط عبر العصور، كلية الاثار، جامعة القاهرة، اكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، أكتوبر 2014م.ص. 9.

[5] ينظر، الملحق رقم 2، خريطة تمثل المغرب الأقصى في عهد بني وطاس - عن مؤنس، نيرة رفيق، نفسه. ص 9.

2- الغزو **البرتغالي الاسباني للمغرب الأقصى**

ان التجزؤ الكبير الذي الا اليه المغرب وعجز الوطاسيون عن القضاء عليه، قد شجع البرتغاليين والاسبان على المضي فيما شرعوا اليه منذ مطلع القرن الخامس عشر من غزو وتخريب واحتلال للمدن الساحلية بغية تحقيق أهدافهم،[1] كذلك يذكر بعض المؤرخين ان توجه البرتغال نحو التوسع البحري والهجوم على المغرب يعود لعدة أسباب منها:

-تزايد عدد السكان النسبي وعدم القدرة على التوسع القاري على حساب قشتالة القوية.

-كذلك نقص القمح والطلب المتزايد للسمك والجلود والأصبغة.

-البحث عنأرض جديدة صالحة للزراعة.

-البحث عن العبيد للعمل في مصافي السكر التي أنشئت آنذاك، والحاجة الى الذهب.

يذكر محمود على عامر في كتابيه تاريخ المغرب العربي الحديث،أن الغزو البرتغالي كان رد فعل على القرصنة المغربية التي نشطت في أواخر القرن الرابع عشر في القرن الخامس عشر وأخذت طابع الجهاد ضد أولئك الذين طردوا المسلمين من الأندلس،[2]على الرغم أن الاسبان استطاعوا ملاحقة المسلمين بعد سقوط غرناطة اخير معقل المسلمين في الاندلس 1492م بمشاركة برتغالية نحو سواحل المغرب الإسلامي، إلى أن هذه الغارة على سواحل المغرب الاسلامي (المغرب الأقصى، الجزائر، تونس، طرابلس الغرب) المتوسطية والأطلسية ليست إلا رد على انتصارات العثمانيين وفتوحاتهم في اروبا بعد سقوط القسطنطينية، واتخذها عاصمة لهم.[3] إضافة الى التطورات التي عرفتها بلدان غربي اروبا وخاصة شبه الجزيرة الإبيرية (الاسبان والبرتغال)، فلقدأخذت تظهر لدى الإسبان والبرتغال رغبة في التوسع والسيطرة على سواحل البلدان الأخرى للاستغلال ما فيها من خيرات، علاوة على نشر الدين المسيحي بين أهالي البلد، فإسبانيا كانت مشاغلهم الأساسية تنحصر في توحيدو استرداد ما تبقي للمسلمين بها، أما البرتغال فقد كانت بلادهم تتمتع بموقع هام لوجدها على الطرق التجارية بين موانئ البحر المتوسط وشمال غرب اروبا.[4] لم يكتف البرتغال والإسبان بالسيطرة على مناطق التجارة في الشرق الأقصى، بل واصلو عملياتهم الاحتلالية لسواحل المغرب ومحاربة البحرية المغربية الإسلامية في البحر المتوسط (المماليك المغاربية

[1] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص .57.

[2] محمود على عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، "المغرب الأقصى _ ليبية "، دط، ج1، مكتبة الإسكندرية، 1999م- 2000م ص.18.

[3] محمد علي داهش، الدولة العثمانية، والمغرب، اشكالية الصراع والتحالف، جامعة الموصل كلية الادب، دار الكتب العلمية.2010. ص9.

[4] عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، دراسات تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، ط2، جمعية المؤرخين المغاربة الرباط، المملكة المغربية، 2006م.ص.10.

العثمانية).[1] ولما كان المغرب لموقعه الجغرافي أقرب منطقة الى غربي أوروبا الناهضة نظرا لما تملكه من سواحل على المحيط الأطلسي. فقد اتجهت اليه أنظار البرتغال والإسبان وأخذت تعمل على احتلال مراكز مختلفة من سواحله.[2]

صحيح أن الاسبان هم الذين بداو بغزو الشواطئ المغربية بالحملة على مدينة تطوان[3] وتخريبها في سنة 1400م، فان البرتغاليين الذين استكملوا وحدتهم الوطنية قبل الاسبان هم الذين تفرغوا أكثر لغزو المغرب الاقصى.[4]

استغل البرتغال النكبات التي تعرض اليها المغرب الأقصى، من طاعون والمجاعة ولاسيما المناطق الشمالية، فوجدوا في ذلك فرصة ثمينة سرعان ما استغلوها لاحتلال مراكز هامة في شمال المغرب مدينة سبتة[5]في 21 اوت 1415م،لم تغرب شمس ذلك اليوم حتى كانت المدينة قد وقعت في قبضة البرتغاليين[6] وأن سياسة التوسع البرتغالي منذ احتلال مدينة سبتة، أصبحت تهدف الي السيطرة علي مضيق جبل طارق،[7] بالأخص المناطق الجنوبية منه بداع المحافظة على الطريق التجاري،[8] كما استغل البرتغاليون الصراع الداخلي بين الحكام، حيث بعد تولي حكم المغرب الاقصى الشريف محمد بن اعلي الادريسي، استطاع محمد الشيخ الوطاسي ان يجهز جيشا لنزع السلطة و الحكم من الادريسي ودخل في حروب طاحنة واحتل مدينة فاس[9]سنة 1472م.

وكلفه ذلك ضياع مدينة أصيلا[10] من يده حيث استغل البرتغاليون الحرب الاهلية القائمة في المغرب فارسلوا 377 سفينة محملة ب 30الف مقاتل في زمن الملك البرتغالي الفونسو الخامس في 24 اوت 1471[11] ووقعت أسرة الشيخ الوطاسي في الأسر، فاضطر للمفاوضة معهم وترتب عن تلك المفاوضة

[1]محمد على داهش، الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص.9.
[2]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص .10.
[3]مدينة تطوان أسست قصبة تيطوان في عهد يوسف المريني. هاجر اليها الاندلسيون فجددوا بناءها وأصلحوا الكثير من مرافقها واحتلها الاسبان اول مرة سنة 1400م أصبحت تطوان عاصمة المنطقة المحتلة. ينظر، الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ط3، دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة. 1984م.ص ص .100-101.
[4]عمار بن خروف، المرجع السابق، ص. 57.
[5]مدينة سبتة هي إحدى المدن الساحلية على شواطئ البحر الابيض المتوسط شمال المغرب. ينظر، لسان الدين بن الخطيب السلماني، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح، محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص.144.
[6]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص. 12.
[7]جبل طارق وهو الصلة بين البحر الأطلنطي والبحر الأبيض المتوسط ونقطة التقاء القارتين الأفريقية والأوروبية. ينظر، الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص.89.
[8]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص.13.
[9]مدينة فاس من نهر ام الربيع غربا لتنتهي الى نهر ملوية شرقا وفي الشمال يحد قسم منها البحر المحيط وسائرها بالبحر المتوسط.
- تامسنا ومنطقة فاس وازغار الهبط. الريف وكرط والحوز. حسن الوزان، المصدر السابق، ص.193.
[10]اصيلا مدينة صغرى من مدن الشمال على الشاطئ الاطلنطي بين طنجة والعرائش يرجع تاريخ تأسيسها الى العصر القرطاجي احتلها البرتغال. ثم سقطت في يد الاسبان. الصديق بن العربي، ا لمرجع السابق، ص. 57
[11]شارل اندري جوليا، تاريخ افريقيا الشمالية، تع. محمد مزالي. البشير سلامة، دط، الدار التونسية لنشر، 1983، ص ص. 673 674.

تنازل الوطاسيين عن أرض من المغرب واحتل البرتغاليين مدينة العرائش الى جانب مدينة أصيلا[1]، واتخذ البرتغاليين مدينة اصيلا قاعدة لاحتلال مدينة طنجة بعد ثلاث أيام من التاريخ المذكور لاحتلال مدينة أصيلا 27 اوت 1471م.[2]

كما احتل البرتغاليون في سواحل المغرب الأقصى كل من مدينة البريجة سنة 1502م، مدينة اكادير[3] سنة 1506م، مدينة ازمور[4] سنة 1508م، مدينة المهدية[5] سنة 1515م.[6]

ولم تقتصر الغارات البرتغالية على المناطق الساحلية فقط، بل شملت مناطق داخلية، فلقد عارض البرتغاليون لمدينة أصيلا ومدينة طنجة ضواحي مدينة أزجن (وزان) في حين وصلت الغارات البرتغالية مدينة أسفي والى منابع تانسيفت وحاحة،[7]وتعدت غارات البرتغال مدينة أزمور، مدينة الرباط.

فلقد استطاع البرتغاليون أسر في منطقة أزمور حوالي ألفين من سكان الشاوية إثرالغارات التي استهدفت تلك المنطقة خلال سنتي 1518–1519م. وبمقابل لم يتلقى البرتغاليين مقاومة كبيرة لا من طرف المدنيين ولا من طرف الوطاسيين ويعود هذا التجاهل الى كثرة مشاغل حكام فاس وقلة امكانياتهم وكذلك افتقارهم الى جيش رسمي ونظرا التحصينات التي شيدها البرتغاليون.[8]

واستمر النفوذ الاسباني والبرتغالي في التوسع وبناء الحصون القلاع والمراكز والنقاط الاستراتيجية، التي امتدت على سواحل المحيط الأطلسي، والبحر المتوسط، وكانت هذه الموانئ والحصون تتخذ كمراكز لتموين السفن والاساطيل البحرية البرتغالية والاسبانية، في طريقها الى الهند والشرق الأقصى، كما كانت هذه المراكز نقاطا للتوسع الى المناطق الداخلية ببلاد المغرب،وامتداد نفوذ هذه المراكز الى زعماء بعض القبائل والأهالي الذين تعاملوا معهم ووجدوا مصالحهم الذاتية في الخضوع لهم[9].

لم يستطع السلطان الوطاسي رغم حزمه من بسط نفوذه الا على جهة فاس، اذ خرج على طاعته البربر في الجبال والأولياء الصالحين في الجيوب واصطدم بعداوة رجال الدين العنيدة الذين اعانوا الاعداء عليه ولم ينفك البرتغاليون يواصلون زحفهم بلا انقطاع رغم ما اظهرته الزوايا من حماس في مقاومة الكفار. رغم هذه

---

[1]علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع النشر الإسلامية، 2001م، ص. 321.

[2]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص. 14.

[3]اكادير مدينة كبرى من مدن الساحل الأطلسي. احتلاها البرتغال ثم حررها السعديون فاعادوا بناءها وشيدوا بها قصبتها الشهيرة التي كانت يشرف الناظر منها على سهول سوس. وكانت هذه المدينة من اهم موانئ الجنوب. ينظر، الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص ص. 52-53.

[4]مدينة أزمور تقع على مصب نهر ام الربيع في البحر المحيط بعيدة عن المدينة الغربية بثلاثين ميلا الى الجنوب. يأتي التجار البرتغاليون مرة في السنة ليشتروا كمية عظيمة من السمك. حتى انهم تمكنوا في النهاية من اقناع ملك البرتغال باستلاء على المدينة. ينظر، حسن الوزان، المصدر السابق، ص. 157.

[5]المهدية تقع على الشاطئ الاطلنطي بين العرائش والرباط عند مصب نهر سبو أسست في العصر الموحدي وكانت تسمى بالمعمورة لقربها من غابة المعمورة الشهيرة احتلاها البرتغال في القرن السادس عشر ميلادي. ينظر، الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص.188.

[6]محمد علي داهش،الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص.22..

[7]حاحا هو إقليم وعر جدا وملئ بالجبال الصخرية العالية والغابات والاودية الصغيرة وهو عامر بالسكان. حسن الوزان، المصدر السابق، ص. 96.

[8]احمد بوشرب، وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي، ونتائجه، ط 1، دار الأمان، الرباط، الدار البيضاء، 1997 م، ص.68.

[9]علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص. 322.

المقاومة حيث تمكن البرتغالمن تأسيس قلعة فواسيوزا وتحصين مراكزهم الأربعة بمدينة سبتةوالقصر الصغير[1]ومدينة طنجةومدينة اصيلا.

وكان الاسبان رغم تعهداتهم السابقة يطمحون الى احتلال بعض المراكز في ارض المغرب الأقصى منذ ان تتوجب حرب الاسترداد باستلائهم على غرناطة 1492[2]م.

وما بين سنة (1524م_1549م) حيث تمكن البرتغاليون من ساحل المغرب الأقصى الأطلنطي الى مضيق جبل طارق وان هذا الساحل أهمية اقتصادية بالنسبة إليهم منه يستطيعون شراء القمح اللازمة لعاصمتهم الأم وهكذا فان المغرب الأقصى في وجهة نظر البرتغال جزء من الإمبراطوريةالبرتغالية الاقتصادية.

في حين حملت امارات عديدة في المغرب الأقصى حملت على كاهلها مقاومة النفوذ الأجنبي في البلاد،تتمثل في ظهور قيادة السعدين كقوة حيوية رفعت لواء الجهاد وتحث الى الوحدة المغربية.[3] فالعجز الوطاسي قاد الى ظهور حركات شعبية مجاهدة في مناطق متعددة من البلاد ندرت نفسها للدفاع عن الثغور المغربية ومواجهة التحديات البرتغالية والاسبانية وأسهمت تلك الأوضاع في بروز قيادة شعبية في الميدان اهلتها مكانتها الدينية والاجتماعية لتلعب الدور القيادي في المغرب منذ مطلع القرن السادس عشر ميلادي، وقد تمثلت تلك القيادة بالاسرة السعديين الذين ظهروا في الجنوب المغربي.[4]

[1]القصر الصغير يقع في قبيلة انجرة بين بليوش وطنجة في مقابلة مدينة طريفة بإسبانيا خربه البرتغال عند احتلالهم للشواطئ المغربية يقع على بعد 24 كم جنوب طنجة. ينظر،الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص. 221.

[2]شارل اندري جوليا، المرجع السابق.، ص. 673-674.

[3]محمد محمد على الصلابي، نفس المرجع السابق، ص.322.

[4]محمد على داهش، الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص. 27.

3- نهاية بني وطاس وبداية الدولة السعدية:

يروي عن نسب السعدين روايات كثيرة يسرد الشيخ أبو العباس احمد بن خالد الناصري في كتابه الاستقصا، ان أصل سلفهم من ينبع النخل من ارض الحجازوانهم اشراف من ولد محمد النفس الزكية رضي الله عنه واليه كانوا يرفعون نسبهم ويقولون في اول ملوكهم القائدبأمرالله والنسب في قدوم سلفهم من الحجاز الى المغرب.[1]

عن إبراهيم حركات يروى المقري في كتابه "النفح الطيب "بأنهم من بني سعد بن بكر بن هوازن الذين تنتمي إليهم حليمة السعدية مربية الرسول صلى الله عليه وسلم.[2]ومن روايات اليفرني انما لقبهم العامة بالسعديين تيمنا لأنهم سعدوا بدولتهم."ان السلطان أبا عبد محمد الشيخ ماهد دولة الشرفاء كان يتوهم من مشايخ الفقراء ويخاف منهم لدخولهم الملك. وقد اتفقت كلمة اولائك المشايخ على ان أبا عبد الله محمد القائم انما كان نهوضه بإشارة من الصالحين واذن من العلماء العالمين وكفى ذلك شاهدا على صحة على نسبه الشريف عندهم." [3]

ويتبين ان الدعاية التي شاعت حول نسبهم من حيث عدم انتمائهم الى البيت العلوي، انما تولى كبرها الاشرف العلويون أنفسهم لان السعديين اقصوهم من المراكز الرئيسة في الحكم ثم عادوا الى الاعتراف بشرفهم. على ان بعض خصوصهم يتهمون أعظمهم وهو المنصور بانه كان لقيطا ولم يكن ابنا شرعيا لمحمد المهدي.[4]" ان السلطان أبا عبد الله محمد الشيخ ماهد دولة الشرفاء كان يتوهم من مشايخ الفقهاء ويخاف منهم لدخولهم الملك من بابهم. وقد اتفق كلمة اولائك الاشياخ على ان أبا عبد الله محمد القائم انما كان نهوضه بإشارة من الصالحين واذن من العلماء العالمين وكفى ذلك شاهدا على صحة نسبه الشريف عندهم"[5]. ويسمى السعديون أيضا بالزيدانيين، نسبة الى جدهم زيدان بن احمد، الا ان اسم السعديين هو الذي شاع استعماله وخاصة في المصادر الغربية والمراجعالعربية التي الفت بعد زوال دولتهم. وقد ظل السعديون حتى مطلع القرن السادس عشر الميلادي يحيون في المغرب حياة بسيطة دينية وعلميةولم يبرزوا على المسرح السياسي الا حين اشتدت وطاءة البرتغاليين على سكان الجنوب المغربي والحقوا بهم اضرار في أنفسهمومصالحهم الاقتصادية دون ان يتدخل الوطاسيين لحمايتهم.

---

[1] الشيخ أبو العباس احمد بن خالد الناصري، الاستقصا لإخبار دول المغرب الأقصى الدولة السعدية، تع، تح. جعفر الناصري، محمد الناصري، ج5، دار الكتاب، دار البيضاء، 1955م، ص. 9.

[2] إبراهيم حركات، المرجع السابق،ص.272.

[3] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار، نزهة الحادى بأخبار ملوك القرن الحادى، صحح عباراته التاريخية هوداس، طبع على يد يردين، 1777م، ص.14.

[4] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص. 272.

[5] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني ، المصدر السابق، ص.14.

فالتفت انظار اهل الجنوب الى هؤلاء لقيادة صفوفهم ضد البرتغاليين،[1]وهكذا تمت مبايعة [2]ابي عبد الله محمد عميد الاسرة السعدية، بعد اتصالات ومشاورة بينه وبين بني قومه وفقهاء السوس،[3]وأعيانه في سنة 1509م ولم يفرض نفسه وإنما اسندوا اليه مقاليد امورهم بمحض ارادتهم وقع الاختيار عليه شرف نسبه واسرته العلمية والدينية وان المبرر الأساسي لمبايعتهم له هو الجهاد ضد البرتغاليين وحماية اهل الجنوب ومصالحهم من اخطار اعدائهم.[4] اثرت الحملات الأجنبية ردة فعل قوي من قبل أهالي سوس، والتي أظهرت منه ضعف السلطة الحاكمة في فاس (الوطاسيون) على شكل وحدات شبه مستقلة شعورا بالخطر اهاب بها الي التفاهم والتعاون لتوحيد القيادة الداخلية من جهة، وللعمل على صد الخطر الخارجي من جهة اخري.[5]

أ-أسس قيام الدولة السعدية: الدولة السعدية قبل كل شيء كانت على أسس ديني سياسي، السعديون الاشراف يرون انهم أحق بالملك من بني وطاس الذين فشلوا كليا في ضم المغرب في وحدة سياسية متماسكة وهكذا لجأوا الي اقناع الناس بشرف نسبهم حتي يبرروا ان لقيام دولتهم أساسا دينيا وانهم ليسوا مجرد مغتصبين خلفوا مغتصبين اخرين و كان من الضروري توحيد صف المقاومة الشعبية التي تصدى لها علي الخصوص الصلحاء و المتصوفة ولم يكن بين شخصيات المغرب احسن مقاما من الاشراف الذين كانت لهم في نفوس المغاربة مكانة عظيمة، فكانوا في نظر كثيرا من العامة احق بتولي الملك و بالتالي تنظم المقاومة الحربية ضد الاجانب الذين استولوا علي معظم موانئ المغرب ولم يعد للمقاومة الشعبية القدرة علي تصدي الخطر الأجنبي.[6]

ان أبا عبد الله بإمر الله السعدي لم يفرض نفسه على اهل السوس بجنوب المغرب فرضا،وانما اختاروه واسندوا اليه مقاليد امورهم بمحض إرادتهم. ان المبرر الأساسي لمبايعتهم له هو الجهاد ضد البرتغاليين واعوانهم، وقيادة صفوف المجاهدين ضدهم وحماية اهل الجنوب ومصالحهم من اخطار اعدائهم.

---

[1]عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص. 60-61.

[2] مبايعة ابي عبد الله محمد الي الحكم مرا بمراحل. لما راي السوسيون خطر التدخل البرتغالي اتصلوا بأحد صلحا ئهم وهو محمد بن مبارك من اقان أقصى الجنوب السوسي وطلبوا ان ينصبوه اميرا عليهم حتى يجمع حاشيتهم ويعميم سيادته على باقي التراب المغربي ولكنه رفض ذلك واشار عليهم بتنصيب محمد القائم بالأمر الله وكان مؤذنا فقبيل محمد هذه البيعة واستقر بتيدسي (هي قرية قرب تارودانت) فتمت بيعته سنة 1516م وكانت توليته باعتراف الشيوخ والقضاة والفقهاء من المساندة في عهد ابي عبد لله البرتغالي الوطاسي وكانت له سلطة روحية عظيمة على سكان سوس. ينظر، ابراهيم حركات، نفس المرجع، ص ص 274 -275.

[3]بلاد سوس الأقصى في مراكش هده اخر المدن الكبرى بالمغرب المشهورة به وليس وراءها مدينة سوس الأقصى فمنها مدينة صغيرة تسمي تارودانت وهي حاضرة سوس واليها يجتمع اهله ومدينة صغيرة تدعي زجندر. ينظر، عبد الواحد المراكشي، المعجم في تلخيص اخبار المغرب، ضبطه وصححه وعلق حواشيه واتشاء مقدمتهم، محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، ط1، الاستقامة بالقاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، شارع محمد علي المصري، لصاحبها، مصطفي محمد، 1949م، ص .361.

[4]عمار بن خروف، المرجع السابق، ص.59.

[5]نفسه، ص. 60.

[6]إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص. 273-274.

وفي سنة 1515م[1]. اول عمل قام به ان هاجم البرتغال عند مدينة اكادير وكانت له انتصارات أولية رائعة هناك[2]. فمحاولت البرتغال باءت بالفشل أمام وصول امدادت الى المدينة من السعديين.

المبحث الثالث:الصراع الوطاسي السعدي:

توفي القائم بإمرالله السعدي تاركا الامر لولده احمد الاعرج ولأخيه[3] محمد الشيخ السعدي.[4]وركز الاخوان على الاستمرار في محاربة البرتغاليين وحقق انتصارات طارت بها شهرتهما ودخل مدينة مراكش في طاعته سنة 1524م وأصبحت عاصمة للدولة السعدية الناشئة. مستقلة عن مملكة فاس التي بقيت الى هذا التاريخ بيد الوطاسيين الذي تأكد لهم ان هدف السعديين ليس الجهاد فقط، وانما إقامة دولة جديدة يحكمونها ويسيرونها هم بأنفسهم. خاصة بعد استلائهم على مراكش من طرف احمد الاعرج. الا ان الملك الوطاسي محمد البرتغالي[5]بد له ان هدف السعديين ليس فقط الجهاد بل تأسيس دولة أيضا ولكن احمد الاعرج السعدي سارع الى التخفيف من استيلائه خشية ان يهاجمه قبل ان يستكمل استعداداته.[6]

بعد وفاة محمد البرتغالي الوطاسي فان الاضطرابات عمت البلاد حيث تولى الحكم أخوه ابوالحسن علي بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بأبو حسون البادسي، لكن أبا العباس احمد بن محمد البرتغالي قبض علي عمه أبوحسون ثم خلعه على العرش بحضور كبار رجالات وبويع أبو العباس احمد الوطاسي من طرف كل فقهاء فاس سنة 1526م.[7]

طالب احمد الاعرج السعدي بما استحق عليه من ضريبة التبعية فلم يستجب له بل انه تحالف مع الامراء المستقلين عن فاس وحصن مدينة مراكش فلم يبق أمام السلطان الوطاسي الا الحرب.[8]

تكبد خسائر كبيرة بعد حملته على مراكش امام السعديين. ثم مني بهزائم أخرى معهم في معركة انماي سنة 1528م[9] خارج مراكش ومعركة بوعقبة قرب وادي البعيد سنة 1536[10]م.

---

[1]عمار بن خروف، المرجع السابق، ص. 61.

[2]إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص.275.

[3]احمد الاعرج ومحمد الشيخ. هم أبناء القائم بأمر الله السعدي شاركوا في مقاومة البرتغال. شارك أبو العباس الاعرج بنصيب وافر في قيادة الحملات ضد النصارى في عهد والده. اما محمد المهدي تركه بسوس يدبر شؤونها. كما تلقيا العلم بفاس ثم أصبحا من مشاهير المدرسين بها. ينظر، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص.275.

[4]عمار بن خروف، المرجع السابق، ص.62.

[5]محمد البرتغالي الذي سمي كذلك بسبب اقامته اسير بالبرتغال ة بمجرد ما اعتلى عرش المغرب فان محمد البرتغالي اهتم أساسا بالانتقام من المغرب فقد تميز عهده بالجهاد ضد النصارى. ينظراوغست كور، دولة بني وطاس (1420م_1554م)، تر محمد فتحة، ط1، الدار البيضاء كلية الاداب والعلوم الإنسانية الرباط ،2010، ص.68.

[6]عمار بن حروف، المرجع السابق، ص. 63.

[7]نفسه، ص.63

[8]اوغست كور، المصدر السابق، ص.92.

1- معركة انماى 1528م:

جهز احمد الوطاسي حملة ضد السعديين، يروى اوغست كور في كتابيه دولة بني وطاس لم يترك الشرفاء السعديين الفرصة تمر فتعقبوا جيش السلطان الوطاسي واحكموا السيف في مؤخرته بهسكورة[1]وهيمنطقة كانت خاضعة لهم. ثم نزلوا الى تادلا واخضعوها لسيادتهم وفرضوا عليها الحمايات باعتبارهم ملوكا على المغرب وبعد ان أخمد السلطان الثورة بفاس انطلق من جديد مراكش غير ان جيوش السعديين اعترضته بهسكورة. شرق مراكش وهزمته في الموقع المعروف بانماى سنة1528م ولم تحسم هذه المعركة الأمور بين الطرفين واستمر الصراع بينهما سنوات أخرى وتأزمت الأوضاع الداخلية بشكل كبير وساءت أحوال الناس. فكثرت الشكاوى من السكان وتعاطفت مع تيار الصوفية المكون من ممثلي الزوايا والذي كان يتدخل بشكل متزايد في الأوضاع السياسية، فتدخلوا لكي يدفعوا الطرفين معا الي قبول فكرة اقتسام البلادواعلان السلم.[2]

2- معركة بوعقبة 1536م:

ظل السلطان الوطاسي ينظر الى الأشرف السعديين على أنهم مغتصبون للسلطة في مراكش بينما كان هؤلاء يرون أنهم أخق بالملك منه[3].لكن وقبل أن يتمكن السلطان الوطاسي من الوصل الي مراكش وصل السعديون الي مشاريف وادي العبيد وانزلوا قواتهم بموقع بوعقبة في انتظار وصول خصومهم وكانت قوات السلطان مكونة من جماعة كبيرة من الرجال وقبل ان يشتبك الطرفان انسحبت بعض القبائل العربية بينما انضمت قبائل سهل مراكش الي الشرفاء السعدية[4]. يروي مارمول كربخان في كتابه وصف افريقيا، احداث معركة واد العبيد نهر عميق اخذت قوات الاخوين احمد و محمد تطارد جيش السلطان الوطاسي حتي وصلوا الي اعماق هسكورة ثم عرجا علي تدلا و هناك امدهما السكان بالمساعدة و لو ان اكثرهم ظلوا الي حين يدينون بالولاء للوطاسيين و بعدما قضي السلطان علي الفتنة في المدينة فكر من جديد في وضع حد لعصيان الشريفين لذا قرر العودة الي مراكش لاستئناف القتال ضدهما لكن الاخوين كنا علي جانب كبير من اليقظة فقررا ان يتربصا له بوادي العبيد رغم قيلة عدد جنودهما الي لم يكن فيهم من الفرسان الا سبعة ألف، في حين كانت قوة السلطان الوطاسي تضم تسعة عشر ألف فارس وسبعة عشر مدفعا و كان كل من الجيشين المتحاربين يترقب من عبوره لينقض على الأخر و بدأ التراشق بينهما و استمر ثلاثة أيام

[1] هسكورة قبيلة كانت تستقر في سوس الأدنى جنوب تارودانت. وهناك منطقة سكورة الواقعة بأقليم ورزازات. ينظر، الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص.243.
[2] اوغست كور، المصدر السابق، ص. 96.
[3] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص64.
[4] اوغست كور المصدر السابق، ص ص .97-98.

لما تبين السلطان فاس أن اعداؤه يهدفون الى منعه من عبور النهر قرر أن يتحدهم لذا قسم جيشه الى ثلاثة فيالق (فرق)وفي المقابل كان جيش الأخوين الشريفين يتألف من فرقتين شهد السلطان الوطاسي الكارثة التي حلت بجنوده و هو لم يعبر النهر بعد واتضح له عجزه التام عن مجابهة الشرفاء فترك ابنه قتيلا والجنود الذين كانوا معه تخلي عن حريمه وعن امتعته ثم لذا بالفرار الى تدلا[1]ومنها الي فاس و على اثر هذا النصر الذي كتبه لشرفاء هب سكان المنطقة لمبايعته و دفعوا اليهم المعونة والزكاة.[2]

أمام هذا الصراع بين الوطاسين والأخوينأحمد الأعرج ومحمد الشيخ السعديين من أجل مد النفوذ السعدي في فاس وانتهى الأمر بتقسيم المغرب الأقصى وفك النزاع بين الطرفين نظرا للخسائر الفادحة فقرر أعيان المغرب بأنتادلا شمالا الى رباط تازة للوطاسيين ، ومن تادلا جنوبا حتى أطراف السوس للسعديين. وان تكون درعة للسعديين وسجلماسة[3]للوطاسيين.[4]

3-النزاع بين الاخوين السعديين احمد الاعرج ومحمد الشيخ:

يروى مارمول كربخان في كتابه افريقيا، "يقول المثل ان الخلاف وليد الطموح وقد صدق المثل في الخلاف بين الاخوين فان محمد الشيخ الذي نجح في تحرير بعض المراكز المحتلة قد بدا أكثر شعبية من أخيه احمد وأجدر منه بحمل لقب المحرر،[5] كذلك تميز عن أخيه احمد بعدة صفات، منها الحكمة وطيب الخاطر الديونة فأحبه الناس أكثر".[6]وان احمد بانتقاله الى مراكش واستقراره بها قد ابتعد في الواقع عن مناطق الخطر الأجنبي.

تفاقم الخلاف بين الاخوين في سنة 1541م،[7] بسبب غنائم سنتا كروز بعد فوز محمد الشيخ على البرتغاليين لم يرسل لأخيه احمد الاعرج سوى بعض الاسرى ذكور واناث بينما احتفظ بالعدد الكثير منهم الجنود المحنكون والصناع الذين يصهرون الحديد فيصنعون منه الأسلحة لكن اخاه الح عليه في ان يوفيه بخمس الغنائم وبالمدفعية والرماة وبأربعمائة من الأسرى البرتغاليين.[8]طلب أحمد الأعرج من أخيه محمد الشيخ ان يقدم الى مقابلته للتفاوض معه الا ان محمد الشيخ رفض ذلك بدعوى انه يخشى مجيء حملة برتغالية في غيابه ضد مدينة سوس.والى جانب الخلاف حول الغنائم هناك سبب أخر وهو مسالة ولاية

[1]تادلا يعرف هذا الإقليم قديما باسم فازاز، وهو مركز فلاحي يبلغ ارتفاعه 500م على الضفة اليمنى لوادي أم الربيع، يقع وسط ناحية اشتهرت بتربية الأغنام وبجودة الأصواف وتعد ناحية تادلا من أغنى الأقليم. ينظر، الصديق بن العربي، المرجع السابق.،ص ص .91-92.

[2]مارمول كاربخال. افريقيا، تر محمد حجي، محمد زينبر، والأخرون، دط، ج1، مكتبة المعارف، المغرب، 1989م، ص ص. 458-459.

[3]سجلماسة كانت المدينة نقطة تجارية هامة بين المغرب والسودان وافريقية خلال عصر المرابطين ومن بعدهم كما ازدهرت بها الحركة العلمية والدينية. ينظر، الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص .228..

[4]عمار بن خروف، المرجع السابق، ص. 64.

[5]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص. 65.

[6]مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص .460.

[7]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص. 65.

[8]مارمول كربخان، المصدر السابق، ص. 460.

العهد اذ يبدو أن أحمد الأعرج قد حاول تولية ابنه بدل أخيه محمد الشيخ وذلك مخالفا للطريقة التي سنها السعديين بان لا يتولى الحكم الا كبير العائلة فطلب محمد الشيخ من أخيه احمد الاعرج الوفاء بذلك فامتنع.[1]

رفض محمد الشيخ تلبية مطالب أخيه ولم يفلح الوسطاء في إقناعه بالاستجابة لما يريده امير مراكش فراح احمد الاعرج يكره السكان الموالين لأخيه حتى يحاولوا اليه زكاتهم وامداداتهموكان محمد الشيخ يستخلصها منهم مع ذلك فضل استنزاف الأموال من الشعب. امر احمد الاعرج ضباطه بالاستلاء على جميع المدن التابعة لنفوذ محمد الشيخ وهناك تدخل رجل صالح يدعى سيدي رحال ودعا احمد للتمسك بجانب الحكمة تفاديا لقطع العلاقات مع أخيه. ثم عرض وساطته على الاخوين فنظم لقاء بينهما حيث حضر كل منهما معه خمسمائة فارس وكل منهما مستعد للطوارئ.[2]

تطورت الأمور بينهما الى نزاع مسلح وباءت جميع محاولات التوفيق بينهما بالفشل وقد تمكن محمد الشيخ من الانتصار على أخيه واسره في احدى المعارك ثم أطلق سراحه بعد قبوله بتقسيم المملكة بينهما وبان يكون محمد الحران بن محمد الشيخ ولي عهد لهما.وببنود أخرى تضمنتها الاتفاقية لتي عقداها بينهما لكن احمد الاعرج نقض تلك الاتفاقية التي عقداها بينهما بعد ان أصبح طليقا بدعوى انه وقعها وهو أسير. فتجدد النزاع بينهما وانهزم الاعرج مرة أخرى في معركة الكاهرا الهامة سنة 1544م التي دخل في أثرها محمد الشيخ قاعدة ملك أخيه واستقر بها.[3]

لجأ احمد الاعرج السعدي وابنيه الكبيرين الي فاس يطلبان النجدة من السلطان الوطاسي فوعدهما بإرسال الامدادات الى أبيهما لكن الجنود الذين كانوا يحاربون الى جانبه تركوه في ساعة البؤس والتحقوا بمراكش فأحسن محمد الشيخ استقبالهم ووزع عليهم النقود والهباتوادمجهم في قواته وكان محمد حكيما يعنى عناية كبرى بكل شيء بما علم ان سلطان فاس وفاد ابن أخيه. فكر في الامر وطلب من فقهاء المدينة ان ينظموا لقاء بينه وبين أخيه. لما رأى محمد الشيخ اخاه قادما قام واستقبله بمدخل الخيمة بكيا ثم جلسا على نفس المنصة ثم قطع محمد الصمت قائلا لأخيه. "نقضت العهد وخنت الوعد ضعف الايمان مستقبح في الملوك أكثر من غيرهم ..."أصغي احمد الى العتاب ودافع عن براءته بكل هدوء والتمس من أخيه ان يصفح عما صدر عنه من أخطاء.

[1] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص.65-66.
[2] مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص ص . 460-461.
[3] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص. 66-67.

لما رجع محمد الشيخ السعدي الى مراكش قام أهلها بتنظيم حفلات احتفلا بالسلم غير انه لم يهدا لمحمد الشيخ بال ولم تغمض له عين وهو يرى ان على عرش فاس سلطانا استقبل ابن أخيه وامده بالجيش ضده.[1]

4- معركة درنة 1545م:

لم يغفر محمد الشيخ السعدي لأحمد الوطاسي استعداده لمساعدة أخيه ضده ولذلك نقض الصلح الذي ابرم معه منذ عدة سنوات في اعقاب معركة بوعقبة و طالب احمد الوطاسي بان يتخلى له عن مقاطعة تادلا و قبل أن يحصل على الجواب أخذ في جباية الضرائب منها وهب الوطاسي لإبعاده عنها و زخف محمد الشيخ السعدي الى لقائه فاصطدم علي وادي درنة احد فروع نهر ام الربيع في سنة 1545م و كان الصدام عنيفا لاشتراك قوات كثيرة فيه.اجتازت قوات سلطان مراكش وادي العبيد و هي تتمهل في زحفها نحوا الميدان وفي غاية النظام حط سلطان فاس محتليه يسهل علي ضفاف نهر درنة في موقع استراتيجي يحده النهر من جهة و الجبل من جهة اخري تأخر موعد المجابهة بكثير و لما رأى الشريف السعدي ان جنود سلطان فاس أصبهم العياء اخذ يزحف نحوهم [2]و لما شهد سلطان فاس حالة جنوده معي اجتيازهم النهر ليلحق بهم لكن جواده تعثر ورمي به الي الماء هذا ما تسبب تشتت فاس بأكمله و انسحب أبو حسون و كان النصر في النهاية حليف محمد الشيخ السعدي الذي تمكن من اسر السلطان الوطاسي و ابنه [3].

اخذ محمد الشيخ مقاطعة تدلا وبعد ذلك غدا الطريق الي فاس مفتوحا امامه فتقدم وقصد الدخول اليها ولكن أهل فاس بقيادة ابي حسون الوطاسي ومحمد القصري ابن السلطان الوطاسي الأسير الذي بويع السلطان مؤقتا خلفا لي ولديه استعدوا مع الفاسيين للمقاومة، كتب محمد الشيخ لأعضاء السلطة الوطاسية واعيان فاس يطلب منهم تسليمه مدينة مكناسة مقابل اطلاق صراح السلطان الأسير وهذا باستعمال القوة لتحقيق طلبه ولكنهم لم يستجيبوا له امام هذ الرفض وخوفا من ان يغتنم اخوه احمد الاعرج فرصة غيابه عن مراكش بمعظم قواته فيتقدم علي استعادتها عاد الي مراكش ومعه السلطان الوطاسي الأسير دون ان ينفذ تهديده في أعقاب هذه التطورات قامت الاسرة الوطاسية بتوجيه نداء الي السلطان العثماني سليمان القانوني يطلبون منه التدخل لدى محمد الشيخ لإطلاق صراح السلطان الأسير.[4]

---

[1] مارمول كاربخال. المصدر السابق، ص ص. 467-468.
[2] عمار بن خروف ،المرجع السابق، ص. 67.
[3] مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص. 470.
[4] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص .67-68.

النداء الذي وجهه السلطان الوطاسي الأسير الي السلطان العثماني سليمان القانوني يطلب منه المساعدة عن دييكودي طوريس في كتابيه تاريخ الشرفاء،" لجات ام مللك فاس وابنه أبو حسون الي الأعظم التركي حين راوا ان الشريف مصمم علي عدم اطلاق صراح الملك مالم تسلم له مكناس كفيديه كتبوا اليه ان الشريف قد احيط بجميع أنواع الرعاية من اسرتهم وانه بعد ان نقض الهدنة التي ابرمها مع الاب والابن دخل عنوة الي المملكة فاسر ابنه و الملك في المعركة واعتقله كمسيحي خلافا لي دينهم لذلك فانهميتوسلون اليه بكل تواضع ان يؤازرهم في نكبتهم وبصفته السلطان الأعظم يرجون منه ان يرسل الي الشريف يأمره بإطلاق صراح الملك و ابنه."[1]

يذكر أوغست كور في كتابيه دولة بني وطاس في تلك الاثناء حصل تدخل دبلوماسي عثماني يقول فقد ذكر دييكو دي طوريس في سنة 1548م وصل سفير سليمان القانوني الى مراكش ودخل عند الشريف دون ابداء مظاهر الاحترام والخصوع التي يبديها السفراء عادة. فغضب الشريف غضبا شديدا زاد من حدته مضمون رسالة السلطان العثماني التي صيغت بلهجة الامر وتطلب من الشريف إطلاق سراح سلطان فاس وجبر الضرر الحاصل له ثم اعلان الولاء والطاعة له وفي حالة ما إذا رفض تدخل السلطان العثماني فانه سوف يعتبر ذلك بمثابة إهانة شخصية له ولعل اشد ما اثار حنق الشريف هو مطلع الرسالة الذي يحاطه بالشكل التالي الى "شيخ الاعراب محمد الشريف ...." والذي كان ان يقبل بسببه مبعوث السلطان العثماني وهو عمل مخالف للأعراف الدبلوماسية وكان من شانه ان يزيد المشكلة تعقيدا. لولا تدخل القائد الفارسي رئيس فرقة الأتراك والعلوج العاملين لدى الشريف، الذي بين السلطان نتائج مثل ذلك العمل ونجح في إقناعه وكيفما كان الحال، فان غصب الشريف كان مشروعا خصوصا وأنه نظم ادارته على النمط المريني القديم وكان معتدا بذلك ولم يستسغ معاملته كمجرد شيخ فقط.[2]

[1] دييكودي طوريس. تاريخ الشرفاء، تر محمد حجي، محمد الأخضر، دط. جامعة محمد الخامس، مكتبة الاداب القنيطرة ،1989. ص.127.
[2] أوغست كور، المصدر السابق،ص.117.

ساد الانحطاط في بلدان المغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى،إثر الانقسامات السياسية الداخلية التي ظهرت بشكل واضح، ففي المغرب الأوسط (الجزائر) بعد سقوط الدولة الزيانية واستقلال معظم المدن الساحلية عن السلطة المركزية، تعرضت الأخيرة للاحتلال الاسباني الذي لم تكن أنظاره على الجزائر فقط بل امتدت لتصل الى المغرب الأقصى الذي تقاسم احتلال مدنه الساحلية مع البرتغال فيما عرف بالغرو الابيري (الاسبان والبرتغال) لسواحل المغرب الأقصى.

الا أن أعيان مدينة الجزائر سعوا لتحرير هذه السواحل من الغزو الإسباني بكل الطرق، هذا ما دفعهم الى الاستنجاد بإخوة عروج وخير الدين الذين ذاع صيتهم في محاربة الكفار ورفع راية الإسلام في البحر الأبيض المتوسط، وهكذا انضوت الجزائر تحت الحكم العثماني.

وعلى عكس ما حدث في المغرب الأوسط (الجزائر) ظل المغرب الأقصى ومنذ القرن السادس عشر ميلادي يواجه ظروفا صعبة غزوا إيبيريا (الاسبان والبرتغال) على سواحله، رغم محاولة الوطاسيين لتصدي هذه الحملات الا أنهم وصلوا الى جنوب المغرب ما أدى الى ظهور قوة جديدة تمثلت في الأشراف السعديين الذين اختلاف المؤرخون حول نسبهم رغم إدعائهم النسب الشريف ولهم الأحقية في الحكم، وأن ظهورهم الأول هو بهدف الجهاد ضد الاحتلال البرتغالي وحماية أهل الجنوب ومصالحهم من أخطار أعدائهم.ولكن بعدما تمكنوا من تحرير عدة سواحل من يد البرتغال،بدأت نفوذهم تتعالى وتوسع طموحهم في حكم المغرب. هذا التفوق العسكري قضى على نفوذ الوطاسيين وعليه قرر أعيان المغرب الأقصى مبايعة فرد من الأسرة السعدية هذا الأمر ما ولد صراع بين السعديين والوطاسين وأصبح المغرب الأقصى مقسما الى قسمين: الجهة الشمالية للوطاسيين والجهة الجنوبية للسعديين،لم يتوقف طموح السعديين هنا وانما بدأوا بشن معارك على الوطاسيين ما دفعا أبوحسون الوطاسي لطلب المساعدة من السلطان العثماني سليمان القانوني لاسترجاع ملكه بالمغرب الأقصى، بالمقابل السعديين الذين رفضوا الأتراك العثمانيين ولهم الأحقية بالملك لأنهم ينتمون الى النسب الشريف.

الفصل الثاني: حروب إيالة الجزائر مع المغرب الأقصى (1550م-1578م).

حروب إيالة الجزائر مع المغرب الأقصى (1550م-1578م).

المبحث الأول: حروب الفترة الممتدة منسنة1550م الى 1558م.

1-محمد الشيخ السعدي ومحاولة احتلال تلمسان في سنة 1550م.

2- صراع بين أبوحسون الوطاسي ومحمد الشيخ السعدي على حكم المغرب الأقصى وتدخل الجزائر العثمانية سنة 1554م.

3- اتفاق محمد الشيخ السعدي مع الاسبان والبرتغال للقضاء على التدخل العثماني في المغرب الأقصى.

المبحث الثاني: حروب الفترة الممتدة من سنة 1558 م- الى 1576م.

1- اصطدام القوات السعدية في عهد عبد الله الغالب السعدي مع ايالة الجزائر.

أ- معركة واد اللبن 1558م.

2- لجوء عبد الملك وأحمد المنصور أبناء محمد الشيخ السعدي الى الجزائر العثمانية.

3-حملة الجزائر العثمانية على المغرب الأقصى لاستعادة عرش عبد الملك السعدي سنة 1576م.

المبحث الثالث:حروب الفترة الممتدة مابين 1578م-1581م.

1-معركة وادي المخارن (الملوك الثلاث)1578م

أ-أسباب المعركة.

ب-سير المعركة.

ج-نتائج المعركة.

2-حملة علج علي على المغرب الأقصى سنة 1581م.

ان المغرب الأقصى ذلك القطر العربي الإسلامي الذي يقع على الجناح الغربي للعالم العربي،تسلمت زمام الحكم فيه الأسرة السعدية منذ أوائل القرن السادس عشر. وعلى الرغم من نجاح العثمانيين في السيطرة على الجزائر تونس وليبيا، فالبرغم من موقع مراكش الاستراتيجي المهم عسكريا بالنسبة لهم، خاصة وان سواحلها تطل على البحر الأبيض المتوسط، فضلا عن قربها من اسبانيا. الا أن الحكام السعديين رفضوا أي تدخل عثماني الذين سعوا الى ضم المغرب الأقصى وادماجه مع بقية أقاليم العالم العربي.

المبحث الأول: حروب الفترة الممتدة من سنة 1550م –1558م.

كان عهد السلطان سليمان[1] يمثل راس الهرم بالنسبة قوة الدولة العثمانية ويعتبر عصره هو العصر الذهبي لدولة العثمانية حيث شهدة سنوات حكمه توسعا عظيما لم يسبق له مثيل وأصبحت إقليم الدولة العثمانية منتشر في ثلاث قارات عالمية فبفضل ما قام به الاخوان خير الدين وعروج، من حركات الجهاد ضد الاسبان والبرتغال بي دعم من السلطان العثماني استطاع تجميع القوات الإسلامية لصد أعداء الإسلام عن التوسع في موانئ ومدن المغرب الاسلامي [2].في هذه الفترة كانت الجزائر تحت السيادة العثمانية ، اما المغرب الأقصى تحكمه الاسرة الوطاسية التي عاشت حالة من الضعف و الانتقام والعجز عن فرض السلطة المركزية علي جميع انحاء المغرب الأقصى لمواجهه الاعتداءات البرتغالية ، واسهمت تلك الأوضاع في بروز قيادة شعبية اهلتها مكانتها الدينية ان تلعب الدور القيادي في المغرب والتي تمثلت بالاسرة السعدية و خلال الفترة ذاتها كان العثمانيون قد فرضوا سيادتهم وامتد نفوذهم الى أجزاء واسعة من المشرق الغربي ، وقد وجد الوطاسين في الدولة العثمانية قوة إسلامية فتية قادرة علي مساندتهم للوقوف في وجه البرتغال.[3]

قد بداء الدعم العثماني للوطاسيين منذ عام 1545م، وقد شمل ذلك الدعم الأسلحة و المدافع و الذخائر الحربية التي ضمت اليات لحصار المواقع البرتغالية، اردو من ذلك كسر شوكة البرتغال و الاسبان ومنعهما من تحقيق مخططهما لاحتلال المغرب.

---

[1]السلطان سليمان (1520م -1560م) هو عاشر السلاطين العثمانيين في الدولة صاحب أطول مدة حكم من نوفمبر 1520م ختي وفاته في سبتمبر 1566م خلافا لي ابيه السلطان سليم خان وخلفه ابنه السلطان سليم الثاني عرف عند العرب باسم سليمان العظيم وفي المشرق باسم سليمان القانوني بما قام به من اصلاح في النظام القضائي العثماني. ينظر، سامي بن عبد الله المغلوث، المرجع السابق، ص .338 .

[2]علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص.204-206.

[3]محمد علي داهش،**"المغرب في مواجهة التوسعية العثمانية ق 16م مطلع ق17م"**، اداب الرافدين، العدد 34،(125-143)، ص.4 .

وفي الوقت الذي كانت امتدادات العسكرية العثمانية تصل الى المغرب الأقصى كان الصراع الوطاسي السعدي قد بلغ ذروته و تمكن محمد الشيخ السعدي[1] من انهاء حكم ابي حسون الوطاسي[2]، حيث فرمن مدينة فاس الى مدينة مليلية[3]ثم الى إيالة الجزائر الخاضعة للسيادة العثمانية .[4]

1-محمد الشيخ السعدي ومحاولة احتلال تلمسان سنة 1550م:

بعد منتصف القرن السادس عشر، كان محمد الشيخ قد اتم السيطرة على معظم بلاد الريف والمغرب الشرقي وكان العثمانيون في التاريخ نفسه قد اخذوا يبسطون سيطرتهم على تلمسان و المناطق المحيطة بيها، أي ان مناطق نفوذ السعديين قد أصبحت تجاوز الأراضي العثمانية في الجزائر ،وتظهر جميع اتصالات محمد الشيخ بالعثمانيين في الجزائر يهدف الى قيام تعاون مشترك ضد المسيحيين الاسبان و البرتغال لتحرير المناطق المحتلة بشمالي افريقيا و خاصة منها الجزائر و المغرب الأقصى ،في حين ان العثمانيين كانوا جاديين في ضم المغرب بدعوى توحيد القوى الإسلامية ضد الاخطار الاسبانية و البرتغالية الأمر الذي عجل باصطدام قواتها خصوصا بعد ان بسط العثمانيين نفوذهم على مدينة وجدة باب المغرب الشرقي.[5] ففي سنة 1549م انطلقت القوات المغرب الاقصى نحو شرقي البلاد و دخلت الي مدينة وجدة[6]في حين تراجعت القوات العثمانية ومن وجدة تقدم المغاربة نحو تلمسان التي دخلوها سنة 1550م ويعتبر الفتح المغربي لتلمسان بداية مرحلة جديدة في العلاقات السعدية العثمانية لان كلا الطرفيين كان يقدر إستراتيجية المنطقة واهميتها .اذ كان السعديون يرون في ضم تلمسان عاملا قويا في توطيد سيطرتهم على المغرب الشرقي و بالتالي لصد كل تدخل عثماني في المغرب، فان العثمانيين بدورهم كانوا يرون في التمركز بمدينة تلمسان تدعيما لوجودهم بالجزائر، لهذا السبب كان رد فعل العثمانيين قويا وقد انهزم المغاربة وقتل احد أبناء محمد الشيخ و استولى العثمانيين على تلمسان من جديد.[7]

---

[1]محمد الشيخ السعدي، (1539م-1556م) كان يعرف بالشيخ او بأمغار وقد تلقى بسوس وفاس، كان يحفظ القران، وينقض بنفسه فتاوى بعض العلماء، كان له عدة أولاد أشهرهم انجالهم الثلاثة الذين تعاقبوا علي الملك وهم عبد الله الغالب وعبد الملك المعتصم واحمد المنصور، وقد قام محمد المهدي بتغييرات جوهرية فيما يخص النظام المالي والإداري. ينظر، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص.278.

[2]أبو حسون الوطاسي اسمه الحقيقي هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ الوطاسي قد اقيل بعد بضعة أيام على مبايعته من طرف ابن أخيه احمد الوطاسي وبالرغم عن ذلك فانه استجاب لدعوة السلطان العثماني حينما استعان بيه خلال مواجهة للشريف محمد السعدي بفاس. ينظر اوغست كور، المصدر السابق، ص.129.

[3] مدينة مليلية ميناء عظيم على شاطئ البحر المتوسط في منتصف الطريق بين وهران وسبتة شيد في رأس داخل في البحر بمسافة 40ك والمدينة من أكبر الجيوب الاستعمارية الاسبانية فقد جعلت منها اسبانيا قاعدة عسكرية وجهزت ميناءها حيث أصبح من أهم مراكز الصيد. ينظر، الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص.186.

[4]محمد علي داهش، المغرب في مواجهة، المرجع السابق، ص ص. 4-5.

[5]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص .75-76.

[6]مدينة وجدة عاصمة المغرب الشرقي وأقرب مدينة مغربية الى الحدود الجزائرية تقع وسط سهول أنجاد على ارتفاع 550م احتلها العثمانيون واستردها المولى سليمان واحتلها الفرنسيون اولا سنة 1844م ثم سنة 1859م ثم سنة 1907م وكان يقطن بالمدينة عدد كبير من الاوروبيين والجزائريين وبضاحيتها عدد أماكن للراحة والاستجمام يقصدها الناس من مختلف الجهات. ينظر، الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص.245.

[7]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص.77.

وحسب الناصري في كتابه الاستقصا الجزء الخامس ان سبب محاولة الشيخ المهدي احتلال تلمسان هو غضبه من العثمانيين الذين مدوا يد العون الى عدوهم أبو حسون الوطاسي فعندما فتح الشيخ المهدي فاس تاقت نفسه الى الاستلاء على ايالة الجزائر التي كانت تحت الحكم العثماني أو بعبارة التي كانت قد استولى عليها العثمانيين مع انهم أجانب فرأى الشيخ من رأيه اظهار القوة في الحرب أن يبدأ قبل أن يبدأه، فنهض من فاس قاصدا مدينة تلمسان الى أن أنزل عليها وحاصرها، حيث قتل أحد أبنائه .

استطاع العثمانيين اخرجه من مدينة تلمسان فعاد الى مقره بفاس وأعاد الكرة مرة أخرى لكن دون جدوى.[1] يقول دي قراموبعد معركة دامية هزمت فيها المركشيون والحقت بهم خسائر كبير وقتل قائدهم، هاربين وتم ملاحقتهم حتى وادي ملوية هو الحد الذي تنتهي عنده مملكة فاس.[2]

2-صراع أبو حسون الوطاسي مع محمد الشيخ السعدي حول حكم المغرب وتدخل الجزائر العثمانية سنة 1554م:

بعد ان تأسست دولة الاشراف السعديين في مراكش على أنقاض الأسرة الوطاسية وتمكنت من تثبيت أقدامها هناك التمس أبو حسون الوطاسي مساعدة السلطان العثماني سليمان القانوني الذي كان يدرك أهمية موقع مراكش ويرغب في وحدة شمال افريقيا خلال الصراع المحتدم بين المسلمين مع الاسبان والبرتغال، ونتيجة ذلك أمر السلطان العثماني بإعداد حملة لفتح مراكش بتعاون مع ابو حسون الوطاسي الذي عثر عليه صالح رايس[3] عندما استولى على السفن الاسبانية و البرتغالية في ميناء باديس بين المأسورين على أحد الأمراء الوطاسيون،هو أبوحسون وأخذه الى ايالة الجزائر[4]. وقد تمكنت هذه الحملة من دخول فاس في عام 1554م وإعادة حكم الاسرة الوطاسية على مراكش تحت السيادة العثمانية، لكن ذلك لم يستمر سوى بضعة أشهر حيث استطاع محمد المهدي السعدي استيراد فاس من العثمانيين. ونتيجة

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج5 ص.25.

[2] H. Degrammont, Histoir d'Alger Sous La Domination Turque :(1515-1830), Paris ,1887, P. 76.

[3] صالح رايس لما استدعى حسن بن خير الدين الي إسطنبول استخلف على الجزائر القائد صفا الي ان وصل اليها البايلرباي الجديد صالح رايس هو من أصل عربي، ولد في الإسكندرية وفور استلامه الحكم في الجزائر سنة 1552م عمل علي تحسين علاقته مع حكام العرب وتوصل الي اتفاق سلام معهم لم يدوم طويلا، وبعد الاطمئنان من جهة المغرب قام بحملة الي توقورت ورقلة في الجنوب الجزائري لإخضاع أمرؤها الي حكومة الجزائر، ينظر، عمار بن خروف، المرجع السابق، ص. 120

[4] المنور مروش، القرصنة الأساطير والواقع دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، دط، ج2، دار القصبة، دس ص. 129.

الإصرار السعديين على عدم الانضواء لسيادة العثمانية امر السلطان العثماني سليمان القانوني بإرسال حملة لاستعادة فتح مراكش وقد عهدت قيادة الحملة الى صالح رايس.[1]

جهود صالح رايس: في جانفي 1552م عين بايلرباي الجرائر في ظروف دولية معقدة ليس من الأمور العادية أن يكتب السلطان العثماني لأعيان الايالة لتزكية والي جديد أرسل اليهم.ان رسالة السلطان العثماني الى أهالي الجزائر مرتبطة بظروف خاصة تشرحها رسالتان أرسلهما السلطان الى ملك فاس والرسائل الثلاث تحمل نفس التاريخ وهي محررة باللغة العربية كما هو الحال أنداك، حين توجه الرسائل الى أهالي العالم العربي،وعن مضمون الرسائل:

-تبدأ الرسالة الموجهة الى أهالي الجزائر يخبرهم السلطان العثماني سليمان القانوني أن صالح باشا عين بولاية الجزائر .

-أما الرسالة الأولى الى السلطان السعدي محمد الشيخ يشرح سليمان القانوني بأنه عزل والي الجزائر لأنه لم يحسن المجاورة مع جيرانه.

ان صالح رايس في البداية تصرف مع الملك السعدي طبقا لأوامر السلطان العثماني ذهب الى حد أن منحه الغنائم الهامة التي أخذها من الاسبان والبرتغال، لكن العلاقات توترت بسرعة بينهما عندما أعلن محمد الشيخ السعدي نفسه خليفة المسلمين وأمير المؤمنين وخاصا منذ ان استولى على فاس قام بحملة على تلمسان يحاول الاستلاء عليها.[2]

تحركت القوات العثمانية للوقوف مع أبي حسون الوطاسي وحصلت اصطدامات عسكرية بين قوات محمد الشيخ السعدي والقوات العثمانية قرب مدينة باديس[3] التي رسا بها الأسطول العثماني الا أن الهزيمة لحقت بالقوات السعدية مما أفسح المجال أمام العثمانيين لكي يواصلوا زحفهم نحو الداخل، واعتبر صالح باشا ان أبو حسون هذا وسيلة يمكنه استخدامها لتحقيق أطماعه بتوسيع مملكته بأنحاء فاس لذلك بدا الاهتمام به واخذ يقربه اليه وأخيرا توصلا الى إقامة علاقة ودية فيما بينهما غادر صالح رايس باشا الجزائر في سنة 1553م ولدى سماع محمد المهدي بذلك ،عاد فورا من مخاربة المتمردين في جبال

[1] عبد المنعم إبراهيم الجميعى، الدولة العثمانية و المغرب العربي، دط، موسوعة الثقافة التاريخية والاثرية والحضارية التاريخ القديم، دار الفكر العربي،2006، ص.62.

[2] المنور مروش، المرجع السابق، ص ص .125-126.

[3] باديس مدينة اثرية تقع على ساحل البحر المتوسط بين الحسيمة والجبهة على بعد 40 كلم من الحسيمة ويقال لها باديس غمارة وباديس تمييزا لها عن باديس الجزائر. وأمامها في عرض البحر جزيرة باديس غمارة. ينظر، الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص .74.

الأطلس[1] لأنه يدرك جيدا ان نصف سكان المدينة يكنون له العدوات و البغضاء وحلما وصل الى فاس دعا الى عقد مجلس عام مع أعيان البلاد تدارس معهم الوضع، ثم بشار بجمع أكبر قوة ممكنة كان قسم من أعضاء المجلس يرون حرق و هدم المناطق التي يعبر منها الجيش العثماني ، بغية تعرضه للعطاش والجوع و التعب، و القسم الاخر فقد طلب الشريف باتخاذ موقف صارم اتجاه الأهلي الذين يحبون أبو حسون وفي حالة عدم اتخاذ موقف متشدد فإنهم سيعلنون العصيان فتقع البلاد آنذاك بين نارين[2]. وأخيرا وصلت القوات العثمانية التي جاءت لنجدة أبو حسون الى باديس وعلى راسها والي الجزائر وما ان نزل أبو حسون في باديس حتى تلقى طاعة القبائل المجاورة للمنطقة الذي كان له أنصار كثيرون حتى في صفوف جيش السعديين، و حتى الذين ساعدوا محمد الشيخ على الوصول الى الحكم ثم انقلب عليهم وسلط عليهم القمع مستعدين لمساندة الوطاسيين.[3]

اخذ في اعداد قوات محاربة، وقد حصلت اصطدامات عسكرية بين قوات محمد الشيخ و القوات العثمانية قرب باديس التي رسا بها الاسطول العثماني الا ان الهزيمة لحقت بالقوات السعدية مما أفسح المجال أمام العثمانيين لكي يواصلوا زحفهم نحوا الداخل، وقبل أن تنتهي سنة 1553م احتلت القوات العثمانية مدينة تازة[4] واشتبكت مع السعدين في معارك متواصلة أهمها بكدية المخالى من ساحة فاس، عند ذلك تقدمت القوات العثمانية ومعها أبو حسون نحو فاس سنة 1554م[5].وحسب رسالة أسيرا كان بفاس وحرر بعد دخول العثمانيين اليها فان دخول صالح رايس الى فاس كان بفضل انضمام أنصار أبي حسون من أهالي فاس و كذلك بسبب تخلى ستمائة جندي عثماني كانوا في خدمة محمد الشيخ.

وحسب الأسيرهايدو في كتابه تاريخ ملوك الجزائر و" منها يلتقى بالشريف الذي كان ينتظره بتعداد أربعين ألف من الفرسان و العديد من المشاة، ورغم قوة هذا الجيش راح صالح رايس يقتحم عدوه و لان العديد من القيادة الذين يصحبون أبو حسون كانوا قد أنذروا أن اللحظة قد وصلت فتخلوا عن صفوف محمد الشيخ السعدي وانضموا الى صفوف العثمانيين من الوهلة الاولى للمعركة راحوا يساعدونهم في مواجهة الملك السعدي، وجيش الشريف كان مضطرا الى الفرار بعد أن تلقى خسائر فادحة ،و منها راح صالح رايس

[1] جبال الأطلس وهي السلسلة الجبلية العظمى التي تفصل المغرب الى شطرين من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي وتنقسم الى ثلاث سلاسل يطلق عليها الأطلس الكبير والأطلس الصغير ويتراوح ارتفاعها في بعض النقط بين 2000م و4000م.ينظر الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص.113.

[2] عزيز سامح الترء المرجع السابق، ص ص 188-189.

[3] المنور مروش، المرجع السابق، ص.129.

[4] مدينة تازة مدينة متوسطة من أقدم المدن المغربية تقع وسط قبيلة غياته في منتصف الطريق بين فاس ووجدة وفي موقع جبلي ممتاز بين الأطلس المتوسط وجبال الريف وفي ممر استراتيجي عظيم بين المغرب الشرقي وسهول فاس. ينظر، الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص.94.

[5] محمد محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص.238.

يدخل مدينة تازة من دون مقاومة، أين أقام موقعا من مائتي عثماني يقودهم القائد حسن وواصل طريقه الى فاس الجديدة أين كان ينتظره و جيشه والذي أعاد تجميعه وتنظيمه وهو يريد أن يقوم بمعركة ثانية ،وبدأت المعركة بمقبرة تواجه جدران مدينة فاس، ويهزم جيش محمد الشيخ السعدي ويصد الى غاية المدينة ،وفي الوقت كان الشريف بقرب أحد أبوابها والتي تفتح على طريق المغرب ،العثمانيون يدخلون من الباب الاخر للمدينة الجديدة ،وهم ينهبونها ويحصلون على غنائم كبيرة."[1]

مكث صالخ رايس بمدينة فاس أربعة أشهر ضمن خلالها استمرار الأمور للدولة العثمانية ، وفي خلال تواجده في فاس لم يترك الجهاد ضد الاسبان فأرسل فرقة من جيشه الى الريف المغربي استرجع من الاسبان معقلهم الكبير باديس أوضخرة فالين كما يدعونها، كما حاول صالح رايس أن يستبدل أبوحسون بناء على اقتراح المرابطين الصوفين للقيام على حكم فاس باسم السلطان العثماني الا أن قيام ثورة الأهالي اضطر صالح رايس لإعادة أبو حسون الى حكم فاس ،قبل أبوحسون شروط العثمانيين بشأن الحفاظ على السيادة العثمانية من حيث الخطبة باسم السلطان العثماني، و إقامة حامية عثمانية في مقر بلاطه.[2]

بعد أن استقر الامر لأبو حسون سلطانا على فاس وقع خلف بينه وبين القوات العثمانية التي تركها صالح رايس لحمايته فانسحب العثمانيون وعادوا الى ايالة الجزائر.

السلطان السعدي الذي كان قد انسحب من مراكش، جمع حوله قبائل منطقة سوس وجنوب المغرب فانتهز خروج العثمانية من فاس وزحف عليها بجيش القبائل المتحالفة معه ودارت بينه وبين أبوحسون الوطاسي معركة ،انتهت بقتل أبو حسون ،ودخل محمد الشيخ السعدي فاس في 23سبتمبر 1554م.[3]

3-اتفاق محمد الشيخ السعدي مع الاسبان والبرتغال للقضاء على الدولة العثمانية في المغرب الأقصى سنة 1555م:

فضل السلطان محمد الشيخ موالاة الاسبان والبرتغال وتحالف معهم في مواجهة الجزائر العثمانية على التحالف مع الدولة العثمانية الإسلامية. وبعد قضاء محمد الشيخ السعدي على أبي حسون الوطاسي وأعلن نفسه سلطان على المغرب، ظهر محمد الشيخ كخصم عنيد للعثمانيين، ومن المعارضين لسياستهم التوسعية في بلاد المغرب، بل والأكثر من ذلك أنه أعلن إثر دخوله فاس عازم على الذهاب الى

[1] فراي ديغوهايدو، تاريخ ملوك الجزائر، تر، أبولؤي عبد العزيز الأعلى، دط، دار الهدى،2013، ص ص .103 -104.
[2] محمد محمد على الصلابي، المرجع السابق، ص.240.
[3] الأمير بهاء، الدولة العثمانية والمغرب، دون أي معلومات النشر،2020، صص .16-17.

الجزائر لمنازلة العثمانيين هناك.[1] فأرسل رسالة الى الملك البرتغالي جون الثالث يطلب منه التحالف معه، وامداده بقوات بحرية لمواجهة العثماني في الجزائر ووافق الملك البرتغالي على ذلك بثلاثة شروط:

– أن يتنازل السلطان السعدي للبرتغال عن ثلاثة موانئ على البحر المتوسط هي باديس بنيون والعرائش.[2]

– امداد السلطان السعدي للقوات البرتغالية التي سوف يرسلها الملك بالمؤن والماء.

– اشتراك ملك اسبانيا، كارلوس الأول في الاتفاق. وبالفعل تم توقيع الاتفاقية في جانفي 1555م بين ملك البرتغال والسلطان السعدي [3]

ظل في الواقع مفعول هذه الهدنة زمنا طويلا وقد ارسل حاكم وهران فعلا الى فاس وافدا يتألف من ثلاثة أشخاص جاءوا مع الشيخ السعدي حول تهيئ للحملة مشتركة اسبانية مغربية ضد العثمانيين ،قام العثمانيون كرد فعل على التقارب السعدي الاسباني البرتغالي بتشديد الحصار ضد واهران باعتبار أن حاكمها الاسباني كان أداة اتصال بين فاس و الملك الاسباني والبرتغالي الا أن جميع جهودهم فشلت نتيجة للنجدات المتواصلة التي كانت اسبانيا تبعثها الى المدينة المحاصرة .[4]

قرر السلطان سليمان القانوني تغير سياسة الدولة العثمانية تجاه السعديين ومحاولة استمالتهم لتوحيد القوى المسلمة في مواجهة البرتغال و الاسبان فأرسل سفارة الى السلطان السعدي في مارس 1557م تعرض عليه السلم بين الدولة العثمانية وبين السلطة السعدية وامداد الدولة العثمانية السلطان السعدي بأي قوات يرغب فيها على أن يشترك معه ضد الاسبان والبرتغال في البحر المتوسط ويضع اسم السلطان سليمان القانوني الى جوار اسمه في الخطبة والسكة كما كان يفعل بنو وطاس.[5] فكان رد محمد الشيخ السعدي على رسالة العثمانية بعد أن طال جلوس الرسالة عنده فقال له :"سلم على أمير القوارب سلطانك وقل له أن سلطان المغرب لا بد أن ينازلك على محمل مصر ويكون قتاله معك عليه انشاء الله ويأتيك الى مصر والسلام. «وهذا يبين لنا الاستياء الذي كان يشعر به محمد الشيخ من جراء التوسع العثماني في

[1] محمد محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص.241.
[2] العرائش مدينة متوسطة تقع على الشاطئ الأطلنطي بين القصر الكبير وأصيلا على الضفة اليسرى لوادي اللوكس احتلها الاسبان الا أن حررها المولى إسماعيل فجدد بنائها وحصنها وبنى بها القصبة ودار المخزن والمسجد الكبير ولعبت المدينة دورا هاما في عصر السعديين وتعرضت لغارات أوروبية موالية من طرف الاسبان ثم خربها الاسطول الفرنسي. وحول المدينة توجد عدة جنان وحدائق وبساتين. ينظر الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص،200
[3] الأمير بهاء، المرجع السابق، ص.18.
[4] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص.84.
[5] الأمير بهاء، المرجع السابق، ص.18.

شمال افريقيا. وقد أكد هذا الجواب للسلطان العثماني أخيرا صحة تواطؤ السعديين مع الاسبان والبرتغال.[1] الأمر الذي جعله يرسل قوات عسكرية الى الجزائر ليستعين بها الحاكم العام على احتلال المغرب الاقصى، غير أن الباب العالي [2]سرعان ما تراجع عن فكرة غزو المغرب الأقصى عسكريا ولعل ذلك بعد التأكد من الهدنة السعدية –الاسبانية البرتغالية وإلتجأ الى تدبير مؤامرة اغتيال محمد الشيخ السعدي.[3] فأرسل فريق خاصا من اثني عشر رجلا الى المغرب، وتمكنوا من اغتيال السلطان السعدي في مراكش بتاريخ 23أكتوبر 1557م.[4] ولم يكن محمد الشيخ قد عقد بعد اتفاقية التعاون مع الاسبان حول الحملة المشتركة ضد العثمانيين في شمال افريقيا عندما اغتيل من قبل حارسه الخاص العثماني، هذا الاغتيال يكون بداية تطور هام للأحداث المقبلة بالمغرب الأقصى .[5]

المبحث الثاني: حروب الفترة الممتدة من سنة 1558م الى 1576م:

1-اصطدام القوات السعدية في عهد عبد الله الغالب السعدي سنة 1558م مع الجزائر العثمانية:

كان عبد الله الغالب[6] في حياة والده حاكما على فاس وحين قتل العثمانيين والده بويع دون أن يلقى مصاعب وتلقب ب "الغالب بالله" انتقل عبد الله من فاس الى مراكش لأن أنصار العثمانيين كانوا كثيرين في فاس، وكان قاسيا إزاء أسرته قتل بعضهم وهرب ثلاثة من أخوته (عبد الملك وأحمد، عبد المؤمن) الى ايالة الجزائر ومنح ولاية العهد لابنه محمد.

تابع عبد الله الغالب سياسة والده الداخلية والخارجية[7]، كان عليه لتستقر له الأحوال الداخلية أن يأخذ الثأر لأبيه من قتليه العثمانيين وأن يخضع بعض الثورات التي أخذت تظهر في بعض نواحي البلاد عقب اغتيال والده الشيخ محمد السعدي. وقد قصد فعلا مراكش ثم تارودانت [8]حيث انتقم من الذين دبروا مؤامرة اغتيال والده. كما قضي على ثورة بسوس ثم عاد سريعا الى فاس لتهيئ القوات المحاربة لصد

---

[1]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص.85.
[2]الباب العالي مصطلح يقصد به الدولة العثمانية.
[3]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص.85.
[4]الأمير بهاء، المرجع السابق، ص.19.
[5]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص.86.
[6]محمد عبد الله الغالب السعدي (1557م-1558م) ولد الغالب بتارودانت وكان مستدير الوجه، يميل الى القصر، أسود العينين وقد حفظ القران في صباه كما تعلم علوم مختلفة، كان مستقيم السلوك، عادلا في أحكامه، محبا للصلحاء كثير الاعتقاد فيهم. ينظر، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص.285.
[7]محمود علي عامر محمد خير فارس، المرجع السابق ص.46-47.
[8]تعد تارودانت من المدن المغربية القديمة جدا، تقع المدينة وقصبتها داخل مربع فسيح على مقربة من واد سوس يحيط بها سور قديم يضم عدة جنان وبساتين وحقول ويوجد بها مسجد يعد من أعظم مساجد الشمال الافريقي بني في عهد السعديين تبلغ مساحته 2500م.ينظر، الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص.93.

الحملة العسكرية التي يقودها حاكم الجزائر الذي حاول اغتنام فرصة الأحداث الداخلية المغربية لاحتلال البلاد.[1] كما وصل سياسة أبيه في موالاة الاسبان والبرتغال واشترك مع حاكم قلعة وهران في شن حملة على ميناء مدينة مستغانم في الجزائر سنة 1557م، لكن الحملة فشلت وكبدتها قوات الجزائر العثمانية خسائر فادحة، وقتل في المعركة حاكم وهران الاسباني. وفي سنة 1559م عقد السلطان السعدي الغالب بالله السعدي اتفاقية مع ملك فرنسا فرانسوا الثاني تنازل فيها عن ميناء القصر الصغير[2] على البحر المتوسط، في مقابل امداده بالسلاح والعتاد، وبفرقة عسكرية لتكون حارسه الخاص.[3]

أ-معركة واد اللبن سنة 1558م:

جرت معركة حاسمة بين قوات الطرفين في أفريل 1558م قرب واد اللبن حيث دارت الدائرة على القوات العثمانية التي فرت نحو الجبال المجاورة ، أن المغاربة اقتفوا أثرها وهزموا في جبال كما استولوا على غنائم كثيرة. وأما باشا الجزائر فقد انسحب مع بعض القوات نحو مدينة باديس، ويظهر أن حاكم وهران الاسباني قد حاول اغتنام فرصة انهزام القوات العثمانية بالمغرب الاقصى لكسب نصر عسكري في مدينة الجزائر، فقد قام بهجوم مفاجئ على مدينة مستغانم الا أن محاولته باءت بالفشل اذ تكبدت القوات الاسبانية المهاجمة خلال أوت1558م خسائر فادحة.[4]

يشير إبراهيم حركات في كتابه المغرب عبر التاريخ تتحدث بعض الروايات المسيحية عن هجوم مضاد قام به عبد الله الغالب على مدينة تلمسان، فان الروايات العربية لا تكترث لهذا الهجوم، وتفصيل ذلك وأن الغالب ظل ملازما لحلفه مع الاسبان الذين جابهوا العثمانيين في مدينة مستغانم التي خسروها سنة 1558م، ثم هاجموا المراكز العثمانية بأساطيلهم و مشاتهم ،مما مكن الغالب بالله من الانقضاض على مدينة تلمسان التي استطاع أن يحتلها ثم يجلو عنها سنة 1560م.[5]

نجحت سياسة الباب العالي في التوصل الى اتفاق مع السلطان السعدي ،مما سمح لحسن بن خير الدين[6] الذي عين للمرة الثالثة على رأس حكومة الجزائر سنة 1562م بعد أن نجح في تبرئة ذمته من

[1] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص.86.
[2] القصر الصغير يقع في قبيلة أنجرة بين بليونش وطنجة في مقابلة مدينة طريفة بإسباننا. ويسمى أيضا قصر المجاز. خربه البرتغال عند احتلاله للشواطئ المغربية ولم يبقى فيه اليوم سوى أطلال تافهة يقع على بعد 24كم جنوب طنجة. ينظر، الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص.221.
[3] الأمير بهاء، المرجع السابق، ص ص. 19-20.
[4] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص.86-87.
[5] ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص.286.
[6] وصل حسن باشا بن خير الدين الى الجزائر في صيف 1557م. وكان رجوعه مرتبطا بالحالة الداخلية في مدينة الجزائر وبالسياسة الجديدة بعد فشل محاولات التهدئة ازاء السعديين. على الصعيد الداخلي، عرف الحكم أزمة خطيرة تمثلت في رفض استقبال الباشا الجديد المبعوث من اسطنبول بسبب الصراع بين الإنكشارية ورياس البحر. ينظر، المنور مروش، المرجع السابق، ص ص .130-131.

التهمة التي ألصقها به الجند الانكشارية في الجزائر بأن يوجه جهوده الى ضرب الاسبان في مدينة وهران سنة 1563م .أما عبد الله الغالب فقد أحبط بذلك مساعي أخيه عبد الملك لدى السلطان العثماني للتدخل ضده في المغرب الاقصى لهذا ظل يتوجس خفية من اخواته اللاجئين عند العثمانيين بالجزائر ومن تردد هؤلاء على مدينة باديس وغيرها من موانئ ومراسي شمال المغرب الاقصى،وهذا ما جعل عبد الله الغالب يتواصل مع الاسبان ويتحالف معهم وأن يسلم لهم مدينة باديس سنة 1563م.

بعد فشل حملة حسن بن خير الدين في تحرير مدينة واهرن ولكن حملتهم أخفقت هي الأخرى في احتلال حجر باديس وفشلت في الاحتفاظ ببلدة باديس ويعود فشل الاسبان في الحملة الى صمود جنود الحامية الجزائرية .[1] وفي سنة 1564م عاد الاسبان مرة ثانية الى باديس وحجرها في حملة ضخمة تتألف من 14000جندي من قوميات مختلفة اسبانية ،برتغالية ،ألمانية وايطالية نجحت في احتلال مدينة باديس ثم حجرها في سبتمبر 1564م،وكان رد فعل الجزائر عن مواقف عبد الله الغالب الموالية للإسبان والمعادية للجزائر هو التصميم على ضرب حلفائه الإسبان بداء بهؤلاء في مدينة وهران ،ولكن السلطان العثماني أثر ضرب الاسبان وحلفائها ابتداء من جزيرة مالطا ،ثم التفرغ بعد ذلك لعبد الله الغالب.[2]رأت الدولة العثمانية سنة 1565م أن تسلك مسلك التهدئة والصلح الحذر في التعامل مع الأوضاع في المغرب الأقصى وذلك لأسباب عديدة أهمها:

-هزيمة ايالة الجزائر ضد السعديين في معركة واد اللبن سنة 1558م.

-إضافة الى التحالف الاسباني السعدي ضد العثمانيين ومحاولة الاسبان استغال مدينة مستغانم سنة 1558م.

- خسارة ضخرة باديس لصالح الاسبان سنة 1564م.

-الاستعداد لحصار مالطا[3] سنة 1565م.

[1]عمار بن خروف المرجع السابق، ص.218.
[2]نفسه، ص ص.219-220.
[3]حماة مالطة أرسل السلطان العثماني سليمان القانوني الى حسن باشا أوامر تبين أنه كان يولي أهمية كبيرة لحملة مالطا والوسائل التي استخدمت كانت عظيمة جدا بالنسبة للعصر فإلى جانب الاسطول، جيش يتألف من 30الى 36ألف جندي بقيادة الصدر الأعظم مصطفى باشا. وصل من الجزائر 40قادس وسفن أخرى محملة بألف الجنود بقيادة حسن باشا. استمر الحصار من12ماي الى 15سبتمبر1565م. كانت قلة التنسيق وتأخر بعض القوى ووصول النجدات الاسبانية جعلت مصطفى باشا يقرر رفع الحصار. ينظر المنور مروش، المرجع السابق، ص.137.

ففي ظل هذه الأحداث التي كانت تمر بها الدولة العثمانية وايالتها في غرب المتوسط رأت السياسة العثمانية أن تقيم الصلح وتسعى الى التهدئة بين الأمراء السعديين، حيث أن التدخل العسكري مع المغرب الأقصى لن يكون مجديا في ظل هذه الموازنات الإقليمية والدولية التي يشهدها غرب المتوسط.[1]

2-لجوء عبد الملك وأحمد المنصور أبناء محمد الشيخ السعدي الى الجزائر العثمانية:

بعد تعيين عبد الله الغالب لابنه محمد المتوكل[2] وليا للعهد واغتياله لإخوته الذين تمكن منهم، اختار البقية اللجوء الى العثمانيين في مدينة الجزائر طالبين من حكامها الدعم والمدد لاستعادة عرش أبيهم من عبد الله الغالب وابنه المتوكل.[3]ويذكر المؤلف المجهول في كتابه تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية: "فأما مولاي عبد الملك ومولاي أحمد فكانا بسجلماسة ومنها فرا الى تلمسان ولحق بهما أخوهما عبد المؤمن..." [4]

كما يؤكد المؤرخ محمد الصغير الوفراني في كتابه نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي على فرار الأخوين عبد الملك وأحمد المنصور السعدي الى الجزائر خوفا عن حياتهما: "لما توفي السلطان أبوعبد الله محمد الشيخ رحمه الله وولي بعده مولاي عبد الله رحمه الله كما تقدم وكان مولانا عبد المالك الغازي وأحمد المنصور بسجلماسة وحين بلغهما وفاة أبيهما واستيلاء أخيهما على الملك بعده فرا الى تلمسان خوفا على أنفسهما منه ولحق بهما أخوهما مولاي عبد المؤمن فبقيا بها مدة ثم فرا الى الجزائر..." [5]

بما أن سياسة العثمانية منذ عهد محمد الشيخ كانت قائمة على إيواء المعارضة السعدية ودعمها ضد حكام المغرب الأقصى بما يخدم مصلحة ايالة الجزائر بالأساس فقد رحب حاكم الجزائر حسن بن خير الدين بالأمراء السعديين ووعدهم بالإعانة لاستعادة عرشهم. [6] والدليل على هذا الكلام ما ورد في كتاب تاريخ الشرفاء لمؤرخ دييكودي طوريس: "مكث عبد المؤمن بالجزائر وأعجب حسن بسلوكه النبيل وخصاله الحميدة، حتى انه زوجه احدى بناته وأسند اليه حكم تلمسان، فذهب اليها وأقام بها سكناه، وظل مدة من الزمن محبوبا من أهل ولايته، لأنه كان أمير شجاعا..."[7]

---

[1] سالم جوامع، عبد الحق زريوح، **"سياسة الباب العالي تجاه الصراع بين أبناء محمد الشيخ السعدي 1558م-1578م على ضوء الوثائق الأرشيفية "**، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد6، ع1،(68-83)،2023،ص.5.

[2] أبو عبد الله محمد المتوكل (1573م-1575م) ولاه أبوه عهده وبعد موت والده بويع بفاس أولا ثم بمراكش، وهو ابن أمة، كان من أنبغ خلفاء السعديين ثقافة ولاسيما في الاداب وقرض الشعر وقد عرف بالمسلوخ، لأن المنصور أمر بسلخ جلده وحشوه جلدا بعد موته في معركة واد المخازن. اشتهر المتوكل بقسوته مثلما كان جده محمد المهدي ووالده الغالب بالله الا أنه لم يهنأ بالملك طويلا. ينظر، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص.290.

[3] سالم جوامع، عبد الحق زريوح، المرجع السابق، ص.3.

[4] مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص.34.

[5] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني، المصدر السابق، ص.62.

[6] سالم جوامع، عبد الحق زريوح، المرجع السابق، ص.3.

[7] دييغو دي طوريس، المصدر السابق، ص.230.

وعن أسباب التي حالت دون اغتنام السلطان العثماني فرصة استنجاد أبناء محمد الشيخ السعدي نجد أن ذلك يرجع الى تعاون عبد الله الغالب مع الدول المسيحية الهزيمة الكبرى التي لحقت القوات البحرية العثمانية في معركة ليبانتو[1] في سنة 1571م للقيام بهجوم بحري ضد العثمانيين الذين يرجع لهم الفضل في أحياء مجد الإسلام وتأسيس امبراطورية إسلامية واسعة الأرجاء.[2]

بعد معركة ليبانتو اتفقت اسبانيا والبرتغال على انتهاز الفرصة والاتحاد معا من أجل غزو شواطئ المتوسط الافريقية، وبالفعل أرسل ملك اسبانيا أسطولا من 138سفينة الى مدينة تونس سنة 1573م فاستولى على قلعة ميناء حلق الوادي انتهت بانسحاب القوات العثمانية، فأمر السلطان سليم الثاني[3] بإعداد أسطول لمحاربة الاسبان وفعلا تمكن الاسطول العثماني من هزيمة الأسطول الاسباني وتدمير أغلب سفنه واستعادة قلعة .حلق الوادي ومدينة تونس. وهكذا انسحب الاسطول الاسباني نهائيا وظلت مدنتي تونس والجزائر عثمانية الى أن عادت اليها الأساطيل الأوروبية مرة أخرى.[4] التي شارك فيها الاخوين عبد الملك وأحمد المنصور فاقترح على والى الجزائر أن يشاركا في هذه الحملة. وفي نفس السنة التي استعادت الدولة العثمانية مدينة تونس من الاسبان. أصيب عبد الله الغالب بمرض الضيقة فتوفي في رمضان 1573م ودفن بمقبرة السعديين.[5]هذا ما ذكره الأفراني في كتابه "عن وفاة مولانا عبد الله توفي أبو محمد مولانا عبد الله الغالب بالله في السابع والعشرين من رمضان بسبب غم كان يعتريه وهذا الغم الذي كان به المسمى على السنة العامة بالضيقة..." [6]

تولى بعده الملك أبو عبد الله محمد المتوكل حكم المغرب الأقصى الذي واله أبوه عهده وبعد موت والده بويع بفاس أولا ثم مراكش،[7]كان المتوكل يعرف أطماع عمه عبد الملك في الملك ورغبة حكام الجزائر في مد نفوذهم الى المغرب، فعمل بعد توليه العرش الى احباط مساعي عمه ،عن طريق إرضاء العثمانيين فأرسل لهذا الغرض سفارة الى إسطنبول عبر إيالة الجزائر وان تلك السفارة كانت تحمل هدية ثمينة الي

[1]معركة ليبانتو أكتوبر 1571م عقد اتفاق بين البابا بيوس الخامس وفيليب الثاني وجمهورية البندقية أي بين القوى الأوروبية المسيحية لقيام بهجوم بحري ضد الإمبراطورية العثمانية الإسلامية، وقد جرت حربية كبرى بخليج كورنت بالجزر اليونانية انتهت بانهزام الأسطول العثماني، ينظر عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص.94.

[2]نفسه، ص.94.

[3]السلطان العثماني سليم الثاني بن سليمان ولد عام 1525م وجلس على كرسي الخلافة عام 1566م وهو يبلغ من العمر أربعة وأربعين سنة وحال جلوسه أخذ بإصلاح الأمور الداخلية وتنظيم شؤون البلاد وكان للسلطان سليم خادم يهودي يحب شرب الخمر كثيرا فطلب من السلطان أن يفتح جزيرة قبرص طمعا بجودة الخمر الذي بها فأشهر عليها الحرب وساق لفتحها وبعدها أتحدت مشيخة البندقية مع البابا وملك اسبانيا وأعلنوا الحرب ضد الدولة العثمانية. ينظر ، عزتلو يوسف بك اصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الأن، تق، محمد زينهم، محمد عرب، ط1، القاهرة، 1995م، ص.67.

[4]الأمير بهاء، المرجع السابق، ص .22.

[5]ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص .287.

[6]الأفراني، المصدر السابق، ص.58.

[7]إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص.290.

السلطان العثماني سليم الثاني و رسالة أبدى فيها رغبته في توطيد العهود و الاتفاقيات السابقة وعرض فيها اعترافه بسيادة السلطان العثماني عليه، وصلت السفارة المغربية الى الجزائر في شهر مارس 1574م و بقيت فيها عدة شهور لأن حاجي مراد عبد الملك ، الذي كان من الشخصيات المهمة في الجزائر عمل فيما يبدو تأخيرها ، فلم يؤذن لسفارة لموصلة طريقها الي إسطنبول الا بعد أن أمر السلطان العثماني باشا الجزائر ، بإرسال تلك السفارة علي جناح السرعة فلما وصلت اليه وجدته علي فراش المرض الذي توفي 12 ديسمبر 1574م فأستقبلهما السلطان مراد الثالث[1] الذي خلفه وتعرف علي غرضها كما استقبل عبد الملك الذي أوضح له أحقيته في الملك في المغرب من ابن أخيه باعتباره أنه الأكبر منه ،وان قاعدة انتقال الملك كما وضعها جده محمد القائم بأمر الله، مؤسس الدولة السعدية .[2]وهنا نجد السلطان العثماني مراد الثالث اقتنع بحق عبدالملك في الملك .

في نفس الفترة تابع محمد المتوكل خطة والده في التقرب من الدول المسيحية ومسالمتها لصد خطر العثمانيين حيث لم يعد لديه أي شك في انهم سينجدون عمه عبد الملك بقوات عسكرية كما عقد اتفاق مع إنجلترا ،التي كانت ترغب في تنمية التجارة الإنجليزية مع المغرب للفوائد التي تعود على التجار الإنجليز وراء ذلك ، وتوقيع المتوكل اتفاقية التجارة يعد العمل الوحيد الذي قام به خلال حكمه القصير وفعل ذلك باعتبار التجار الانجليز كانوا من بين الذين يبيعون مواد الحرب من ذخائر وأسلحة للمغاربة منذ أمد بعيد.[3]

3-حملة الجزائر العثمانية على المغرب الأقصى لاستعادة عرش عبد الملك السعدي سنة 1576م:

تذكر الروايات التاريخية أن عبد الملك السعدي[4] شارك رفقة القوات العثمانية في فتح مدينة تونس سنة 1574م، مما سمح له باستمالة الباب العالي ودفع لدعمه عسكريا لاستعادة عرش فاس من ابن أخيه محمد المتوكل، وذلك ان عبد الملك شارك أيضا رفقة القوات العثمانية في معركة ليبانتو سنة 1571م

[1]السلطان العثماني مراد الثالث جلس على كرسي العرش وهو في عمره تسعة وعشرون سنة فجدد العهد مع دول الإفرنج، هجم على بلده عساكر المجر فردهم عنها خاسرين وأمتلك منهم بعض قلاع، أخضع جزيرة الغرب وبلاد فاس الي الخلافة العظمي. ينظر، عزتلو يوسف بك اصاف، المرجع السابق، ص.69.

[2]عمار بن خروف، المرجع السابق، ص. 232.

[3]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص.97-98.

[4]أبو مروان عبد الملك بن الشيخ المهدي المعتصم بالله، عم المتوكل (المسلوخ) وكان يرى نفسه أولى بالملك منه لأن الملك يؤول الى أكبر الأمراء السعديين سنا. وهو سياسي محنك، أتقن عدة لغات أوروبية وشرقية، امه سحابة الرحمانية، سارت به مع أخيه أحمد المنصور الى الجزائر فهيأ الوالي العثماني لهم سبل السفر الى الآستانة حيث التجأ الى السلطان سليم بن سليمان طالبا نجدته ومعونته. ينظر، شوقي أبو خليل، وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة، القصر الكبير، ط1، دار الفكر بدمشق، 1977م. ص.34

وأسرفيها من قبل الحلف الصليبي، وكان لعبد الملك وأخيه أحمد المنصور دور في تحرير تونس، حيث أسندت لهما قيادة احدى القطع الحربية المشاركة في هذه الحملة.[1] هذا ما أكده الناصري في كتابه الاستقصا الجزء الخامس :" فطلب عبد الملك وأخوه أحمد من الدولاتى و هو صاحب الجزائر ،أن يجعل لهما رياسة قرصان منها يتوجهان فيه للجهاد معه ، فأعطهما غليوطة فيها ستة و ثلاثون رجلا فركبها ولحق بعمارة السلطان سليم في حملة مراكب الجزائر... ولما فتحوا تونس واستأصلوا من بها من الكفار مرعين رئيس العمارة العثمانية مركبين يتوجهان بكتاب الفتح الى السلطان..."[2]

بعدما قدمه الاخوين عبد الملك وأحمد المنصور من جهاد في فتح مدينة تونس أصدر السلطان العثماني قرار وجهه الى حاكم الجزائر رمضان باشا [3]حيث تلقى أمرا بالتحرك في حملة مع عبد الملك الى المغرب. يقول الناصري "...ولما رأيا من السلطان سليم تنزلا واهتزاز لكلامهما طلبا منه في بشارتهما ان يبعث معهم العساكر الى المغرب... أقبل عليهما السلطان سليم وأعطاهما مالا وسلاحا وزادا وكتب لهما فرمانا للدولاني صاحب الجزائر ليبعث معهما خمسة ألاف من عسكر الترك تطأ معهما أرض المغرب الأقصى..."[4] ولكن رمضان باشا الذي تلقى الأمر بالتحرك في جملة مع عبد الملك الى المغرب، امتنع عن تجريد الحملة ما لم يدفع عبد الملك تكاليفها أو يتعهد على الأقل هو وأخوه أحمد خطيا بدفع تكاليفها بعد تنفيذها فوافق الاخوين على الحل الثاني اذ لم يكن لديهما مال للدفع حينئذ[5]،وهذا ما أكده الناصري في كتابه الدولة السعدية الجزء الخامس : "و لما قدما على الدولاتى بالفرمان وقراه على أهل الديوان قالوا علينا الرجال وعليهما المال و هذه عادتنا مع السلطان ولم يكن عندهما مال يومئذ...ثم نهض عبد الملك وأخوه الى المغرب يجران عساكر الترك خلفهما..."[6]و هكذا توجه الإخوان الى المغرب وكتب عبد الملك الى شيعته ولرؤساء القبائل يخبرهم بأمر الحملة ويدعوانهم لان يكونوا على استعداد لمساندتها ويهددان من رفض الد خول في طاعتهما .

من جهة أخرى محمد المتوكل لم يبقى مكتوف الأيدي كان هذا الأخير يعد بدوره القوات ويجند الأجناد اللازمة لمواجهة عمه، كما كان يتقرب من أعداء الاتراك العثمانيين كالإسبان والبرتغال ويوطد

[1]سالم جوامع، عبد الحق زريوح، المرجع السابق، ص.8.
[2]الناصري، المرجع السابق، ج5، ص.62.
[3]رمضان باشا في نهاية 1574م استلم مقاليد حكم البايلك في الجزائر، اختطف وهو شاب بسردينيا في يوم كان يرعى فيه قطيعه الصغير من الماعز اشتراه تاجر عثماني بالجزائر الذي كان يراه طفل موهوب وذكي أرسله الى المدرسة لحفظ اللغات العثمانية والعربية، وكذا القراءة والكتابة، وعندما كبر اهتم بالتجارة وبعدها راح يعين قائد مختلف البلاد. ينظر، هايدو، المصدر السابق، ص.181.
[4]الناصري، المرجع السابق، ج5، ص.63.
[5]عمار بن خروف ،المرجع السابق، ص.233.
[6]الناصري، المرجع السابق، ج5، ص.63.

العلاقة مع الانجليز على أمل أن يستفيد من ذلك في تعزيز سلطته في المغرب. [1]غير أن انشغال الملك الاسباني فيليب الثاني بثورات الأراضي المنخفضة ضده وبالحروب الدينية القائمة بين الكاثوليك والبروتستانت[2] في غربي أوروبا حال دون اهتمامه بأحداث شمالي افريقيا وانشغال فيليب هذا هو الذي منعه في نفس الوقت من الاستجابة للنداءات المتكررة التي بعثها اليه ملك البرتغال دون سبستيان للتدخل في المغرب ولقد وجد العثمانيون في انشغال ملك اسبانيا بأحداث أوروبا الغربية الفرصة مناسبة للتدخل في المغرب الاقصى، انتصر عبد الملك السعدي في معركة الروكان ضد المتوكل. فأصبح طريق فاس بعدها مفتوحا أمامه ومن مدينة فاس توجه عبد الملك المعتصم الى مراكش التي فرعنها المتوكل نحو بلاد سوس[3]. ولم يمضي سوى أيام قليلة على دخول عبد الملك مع الجيش الجزائري الى فاس حتى دفع هذا الأخير ما توجب عليه من المال عن إقامة الحملة، فانصرفت الحملة الجزائرية عائدة الى مدينة الجزائر في أواسط شهر مارس 1576م دون أن تساعده في بسط نفوذه على بقية أنحاء المغرب الأقصى.[4]

حسب الناصري يقول" ... لما انهزم المتوكل بالركن وأجفل الى مراكش تقدم عمه الى فاس فدخلها واستولى عليها وبعد ان دخلها بايعه أهلها أقام بها أياما ثم طمحت نفسه الى اتباع ابن أخيه الى مراكش ولما عزم على النهوض اليه طالبه الترك بان يردهم الى بلادهم وأن يعطيهم المال الذي اتفق معهم عليه فبذل لكل واحد منهم أربعمائة اوقية واستسلف المال من تجار أهل فاس حتى يتسع حاله ،فكان جملة ما أعطى الترك خمسمائة ألف وأعطاهم عشرة الأنقاض، منها النقض الكبير الذي له عشرة أفواه وزادهم من تحف المغرب وطرفه ما سلى به نفوسهم ،وركب لوداعهم بنفسه الى نهر سبو، ثم رجع الى فاس..." أما محمد المتوكل الذي فر الى جنوب بلاد موس فقد جمع قبائلها حوله ووقعت بينه وبين عميه عدة معارك. انتهت جميعها بهزيمته وأعلن عبد الملك نفسه سلطانا على المغرب من مراكش باسم السلطان المعتصم بالله عبد الملك السعدي ونصب أخاه أحمد السعدي أميرا على فاس ووليا لعهده.[5]

عبد الملك السعدي الذي حمل لقب المعتصم حكم سنتين فقط لكنه أعطى صورة حاكم مجدد في زمنه فكان متحرر ومنفتح على عصره بفضل اقامته الطويلة في الإمبراطورية العثمانية فقد تعلم العديد من اللغات واهتم بالجانب العسكري فقام بعثمانية جيشه أي أنشأه على الطريقة الجيش العثماني وجعل الخطبة

[1]عمار بن خروف، المرجع السابق، ص.233.
[2]الكاثوليك والبروتستانت مذاهب الدينية المسيحية.
[3]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص.98-99.
[4]عمار بن خروف المرجع السابق، ص .235.
[5]الناصري، المرجع السابق، ج5، ص ص.64-65.

في المساجد باسم السلطان مراد الثالث وأنه كان يرسل ضريبة سنوية الى إسطنبول كما كان يفعل بايات مدينة تونس.[1]

المبحث الثالث: حروب الفترة الممتدة من سنة 1578م-1581م.

1-معركة وادي المخازن الملوك الثلاث أو القصر الكبير سنة 1578م:

يروى الناصري في كتابه الاستقصا الدولة السعدية:" كان من خبر هذه الغزوة أن السلطان المخلوع أبا عبد الله محمد السعدي لما دخل طنجة قصد طاغية البرتغال، واسمه لسيبستيان، تطارح اليه ما ناله من عمه أبي مروان المعتصم بالله وطلب منه الاعانة عليه لكي يسترجع ملكه وينتزع منه حقه، فأشكاه الطاغية ولبى دعوته وصادف منه شرها الي تملك سواحل المغرب وأمصاره، فشرط عليه ان يكون للنصارى سائر السواحل ..."[2]

أ-أسباب المعركة:

أراد ملك البرتغال الشاب دون سبستيان[3] القيام بعمل سياسيديني ،هدفه ما وصم به عرش البرتغال خلال فترة حكم أبيه يوحنا الثالث ، ذلك الملك الذي وصف بالضعف و التخاذل ،والذي انسحب البرتغاليون في عهده 1521م-1557م من مدينة أسفي وأزمور و أصيلا و غيرها ،كما أردا أن يعلى شأنه بين ملوك أروبا فظهر يحمل في يمناه كتابه المقدس وفي يسراه التاج و الصولجان ،ليتوج نفسه امبراطورا على المغرب الأقصى و افريقيا، وانه حلم امتلاك الدنيا بعد الكشوف الجغرافية ، واحتلال كلأراضي الإسلام والقضاء عليه أينما وجد، فالملك الشاب دون سبستيان كان يملك من الحماس و الحقد على الإسلام وأهله عموما وعلى المغرب الأقصى خصوصا ،ما تكد تنفجر به جوارحه ،وبدافع حقد و تعصب صلبيي من جهة ،وبدافع من العقلية الاستعمارية ، التي تراي أن يدها مطلقة في كل أرض عربية مسلمة تعجل عن حماية نفسها من أي خطر خارجي من جهة أخرى خطط لغزو واحتلال المغرب الاقصى.[4]

---

[1]DANIEL RIVET, HISTOIRE DU MAROC, France, A Saint-Amand-Montrond ,2012, P.188.

[2]الناصري، المرجع السابق، ج5، ص.69.

[3]الملك سبستيان حكم البرتغال سنة 1557م وهو في العشرين من عمره وهو عصبي المزاج وكان يعتقد بأنه له أحقية حكم مسلمي شمال افريقيا وتسليط عليهم لأن ذلك بالنسبة له وظيفة دينية. ينظر، عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص.255.

[4]شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص ص. 45-46.

جاءت الفرصة الكبيرة عندما استنصر محمد المتوكل السعدي بسبستيان، على عميه عبد الملك وأحمد المنصور، مقابل ان يتنازل له عن جمع شواطئ المغرب الاقصى " فنشرط عليه أن يكون للنصارى سائر السواحل وله هو ما وراء ذلك".[1]عزم الملك البرتغالي دون سيبستيان على غزو المغرب الأقصى رغم معارضة قواده ونصائح فيليب الثاني ملك اسبانيا، وكذلك رغم احتراز الشاعر الكبير كيمونيس الذي عرف مصاعب الحرب في افريقيا وشارك فيها كجندي بسيط ورجع منها أعور[2].

أما إذا نظرنا في الأسباب الداخلية، تمييز تاريخ المغرب الأقصى في مختلف مراحله منذ سقوط الدولة الموحدية بالصراع الداخلي على الحكم بين بطون العرش، كان أولها اشتغال نار الفتنة ضمن الأسرة السعدية خاصة بن ابي مروان عبد الملك وابن أخيهما أبي عبد الله المتوكل،[3] وكذلك الحروب الأهلية التي جرت بين المتوكل وعميه وانعكست مضاعفاتها بصفة خاصة على أحوال البلاد العامة، وقد شجعت هذه الأوضاع السيئة القوى الخارجية المتربصة على الإسراع الى الاستفادة من الظروف الملائمة للغزو المتمثل في استعدادات البرتغال للتدخل العسكري .[4]بعد ان رأى ملك البرتغال سبستيان، الفرصة ساخنة لغزو المغرب والاستيلاء على شواطئها وموانيها المتوسطة، حشد حسب رواية المصادر الغربية[5]، اثني عشر الف جندي من البرتغال، وخاطب كذلك عددا اخر من ملوك أوروبا للاشتراك معه في الحملة على المغرب، فأمد ملك اسبانيا فيليب الثاني بعشرين ألف جندي بأسلحتهم وذخائرهم وأرسلت إيطاليا وألمانيا بضعة الاف أخرى من الجنود.[6]

ب-سير المعركة:

أبحرت السفن الصليبية، باتجاه المغرب يوم24جوان 1578م، أقامت في لاكوس[7] بضعة أيام ،ثم توجهت الى قادس حيث أقامت أسبوعا كاملا ،ثم رست بمدينة طنجة في 9 جويلية، وجد الملك البرتغالي دون سبستيان حليفه محمد المتوكل ثم تابعت السفن سيرها الى مدينة أصيلا ،أقام دون سبستيان في مدينة

[1]شوقي أبو خليل المرجع السابق، ص،46.
[2]شارل أندري جوليا، المرجع السابق، ص.270.
[3]كمال فيلالي، تاريخ المغرب الحديث من فتح القسطنطينية الى سقوط القسطنطينية(1453م-1837م) أساطير مؤسسة، هجرات، مؤسسات وثورات، ط3، دار ألكسندر ،2018م، ص.206.
[4]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص.101.
[5]تقول المصادر البرتغالية والغربية ان الحملة البرتغالية لم تتجاوز ثلاثين ألف جندي، بينما المصادر المغربية أنهم كانوا حوالي 100.000ألف مقاتل والتقرير البرتغالي الغربي لا يتناسب مع حجم أسطول الحملة ولا مع خروج ملك البرتغال بنفسه على رأس وثمة حملات برتغالية سابقة ولم يخرج فيها الملك بنفسه بل وكان تعدادها أكثر من ذلك والهدف الحقيقي من هذا التقرير المنخفض لقوات البرتغال والمتحالفين معها، هو التهوين من انتصار المغرب والتقليل من قيمته، وتبرير نتائج المعركة الفادحة على مملكة البرتغال. ينظر، الأمير بهاء، المرجع السابق، ص ص .25-26.
[6]نفسه، ص.25.
[7]لاكوس مرفأ على مئتي كيلومتر من العاصمة البرتغالية لشبونة.ينظر شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص.49.

طنجة يوما واحد ثم لحق بجيشه في 10جويلية.[1]وكان تحت امراته جيش يناهز العشرين ألفرجل، ومتكون من وحدات مختلفة الأجناس برتغالية في أعلبها وفيها كذلك الإسبان والألمان والايطاليون زيادة على وحدة صغيرة من المغاربة يقودها محمد المتوكل.[2]كما كانت خيالة هذا الجيش ضعيفة ومثقلة في نفس الوقت بست وثلاثين قطعة مدفعية وقافلة هامة من العربات غير متعودة على السير في مسالك المغربية. نزل القوم في طنجة من دون مقاومة وخاصة مدينة أصيلا وساروا اتجاه القصر الكبير، فاعطوا بذلك مهلة الى عبد الملك وأخيه فجمعا جيشا عظيما.[3]

أما الجيش المغربي كانت الصرخة في كل أنحاء المغرب أن اقصدوا وادي المخازن للجهاد في سبيل الله، ولم يكن عند المسلمين أحلى من الاستشهاد فهذه التعبئة الشعبية ستكتمل لتكون جيشا ذو معنويات عالية وذو تصميم أكيد على النص، وزاد الموقف تفاؤلا بالنصر أن القيادة كانت في مستوى الطموح الشعبي، والشعور الوطني والإحساس الإسلامي.[4] وعن عبد الكريم كريم وهو مؤرخ مغربي ،كانت القوات العثمانية[5] التي حاربت في معركة وادي المخازن الى جانب المغاربة تتكون من 6000من رماة النار و100من قبائل الزواوة و800فارس ومزودة باثني عشر مدفعا.[6] حسب مذكرة خورخي دي هنين وهي مذكرة أعدها الكاتب بعد سنوات قليلة من وقوع معركة وادي المخازن، نعرض وضع برنامج لغزو المغرب، ان ذلك الجيش القوى الذي أعده عبد الملك السعدي لمواجهة دون سبستيان لم يعد يوجد له غير اسم .لقد كان جيش عبد الملك أثناء تلك المعركة يتألف من عشرة ألاف من المسلمين العثمانيين المسلحين بالبنادق وثمانية ألاف من المورسكيين الأندلسيين الذين غادرو اسبانيا بعد سقوط مملكة غرناطة وستة ألاف من حملة البنادق الذين تم اختيارهم من بين أكثر المغاربة شجاعة وعدد كبير من المشاة من أصحاب السيوف والسهام، [7]في حين كان السلطان المغربي عبد الملك المعتصم بأمر الله السعدي متوقعا ردة فعل ،فأقام العدة وجهز الجيش وفي يوم الاثنين 6أوت 1578م [8]، وقبل التاريخ المذكور أي قبل أن يلتقى الجيشان، فقد اتخذ عبد الملك السعدي خططه وهذا ما يرويه شوقي أبو خليل في كتابه وادي المخازن ،اختار عبد

[1]شوقي أبوخليل، المرجع السابق، ص ص.49-50.
[2] رسالة كتبها محمد المتوكل السعدي الى أعيان المغرب عند خروجه بجيش البرتغال، الناصري، المرجع السابق، ج5، ص ص. 70-78. وفي هذه الرسالة يتبين غضب أهل المغرب على محمد المتوكل ومهما فعل لا يمكن أن يغتفر له وخروجه مع جيش النصارى تعتبر إهانة لشعبيه وبلاده وهذا يدل أن الشعب المغربي مستاء من استنجاد محمد المتوكل بالبرتغاليين وأن الحجج التي ذكرها لم يقتنع بها الشعب المغربي وأنه لم يدرك خطورة هذه المعركة.
[3]شارل أندري جوليا، المرجع السابق، ص.271.
[4]شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص.50.
[5]ينظر، الملاحق رقم6وثيقة عثمانية حول معركة وادي المخازن يطلب عبد الملك المساعدة بالجيش الجزائري. دلندة الارقش وأخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، دط، مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، 2003، ص ص ،75-77
[6]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص. 105.
[7]خورخي دي هنين، وصف الممالك المغربية (1603م-1613م)، تح، عبد الواحد أكمير،ط1،معد الدراسات الافريقية ،1997م،ص.182.
[8]كمال فيلالي، المرجع السابق، ص.207.

الملك المعتصم بالله القصر الكبير[1] مقرا لقيادته وخصص من يراقب تحركات سبستيان وجيشه بدقة ،ثم كتب الى سبستيان مستدرجا إياه الى ميدان المعركة الذي اختاره ،"انني قطعت للمجيء اليك ستة عشر مرحلة ،فهلا قطعت أنت مرحلة واحدة لملاقاتي؟"، فنصحه رجاله والمتوكل أن يبقى بمدينة أصيلا، ليبقى على اتصال بالمؤن و العتاد والبحر ،لكن تشوقه للحرب وغروره جعله يرفض نصيحة أركانه ،فتحرك يوم الثلاثاء 29جويلية قاصدا القصر الكبير. وفي السبت 2أوت وصل الضفة الشمالية لوادي المخازن، ويوم الأحد 3أوت عبر دون سبستيان ومن معه جسر وادي المخازن، حيث خيم قبالة الجيش المغربي. وفي جنح الليل أمر عبد الملك المعتصم بالله أخاه أحمد المنصور في كتيبة من الجيش، بنسف أوهدم قنطرة جسر وادي المخازن، إتماما للخطة التي وضعها، فالوادي لا معبر له سوى هذه القنطرة [2]الوحيدة التي تمكن البرتغاليين من الهروب في حالة الهزيمة.[3]

أما قوات عبد الملك فمن الصعب تحديدها لأنها كانت تضم عدد كبيرا من المجاهدين بالإضافة الى الجنود النظامين و القوات التي بعثها باشا الجزائر لصد الغزو البرتغالي، وأخيرا التقى الجيشان قرب وادي المخازن وجرت معركة حاسمة في تاريخ المغرب يوم الاثنين 4أوت 1578م عرفت بمعركة وادي المخازن أو معركة القصر الكبير أو الملوك الثلاثة.[4] وقف فيه السلطان عبد الملك المعتصم بالله خطيبا في جيشه مذكرا بوعد الله للصادقين المجاهدين بالنصر :"ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز."[5] يذكر الناصري في كتابيه الاستقصا الجزء الخامس، ان السلطان عبد الملك المعتصم قد اشتد عليه المرض ليلة المعركة وفي صبيحة يوم المعركة مات عبد الملك، "...ولما التقت الفئتان وزحف الناس بعضهم الى بعض وحمى الوطيس واسود الجو بنقع الجياد ودخان المدافع وقامت الحرب على ساق توفي السلطان أبو مروان وحمه الله عند الصدمة الأولى ،وكان مريضا فكان من قضاء الله السابق ولطفه السابغ أنه لم يطلع على وفاته أحد الا حاجبه مولاه رضوان العلج ،فانه كتم موته ،وصار يختلف الى الأجناد ويقول السلطان يأمر فلانا أن يذهب الى موضع كذا ،وفلانا أن يلزم الراية ،وفلانا يتقدم ،فلانا يتأخر..."[6] ومال أحمد المنصور بمقدمة جيش المغاربة على مؤخرة البرتغاليين وأوقدت النار في بارود البرتغاليين، واتجهت موجة مهاجمة ضد رماتهم أيضا فلم يقف

[1]القصر الكبير ويسمى أيضا قصر صنهاجة وقصر كتامة وقصر عبد الكريم ،أسس في عهد الموحدين .وهي مدينة متوسطة تقع في مفترق الطرق بين العرائش وفاس وتطوان تحيط بها الجنان و الحقول والبساتين التي تسقى بمياه نهر اللوكس .وبضواحي المدينة توجد السهول التي وقعت فيها المعركة الشهيرة بمعركة وادي المخازن بين السعديين والبرتغال والتي استشهد فيها ثلاثة من الملوك عبد الملك السعدي بن محمد الشيخ ومحمد المتوكل السعدي وملك البرتغال سبستيان وانتهت المعركة باندحار جيوش الصليبيين وانتصار المغاربة المسلمين سنة 1578م.ينظر، الصديق بن العربي ،المرجع السابق ،ص ص .219-220.

[2]شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص. 61.

[3]كمال فيلالي، المرجع السابق، ص 207.

[4]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص.105.

[5]شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص.63.

[6]الناصري، المرجع السابق، ج5، ص.70.

البرتغاليون لقوة الصدمة ،فتهالك قسم منهم ،وولى الباقون الأدبار قاصدين قنطرة نهر وادي المخارن ،فاذا هي أثر بعد عين نسفها المسلمون بأمر سلطانهم عبد الملك المعتصم بالله ،فارتموا بالنهر، فغرق من غرق وأسر من أسر ،وقتل من قتل.[1] وهكذا انتهت المعركة بالهزيمة الشنعاء للجيوش البرتغالية بمقتل ملكها دون سبستيان و المتوكل الذي باع دينه و بلاده من أجل كرسي العرش وانتشلت جثته بالنهر وحشى جلده تبنا كما تحشى حيوانات الزينة وحملها المغاربة رمزا لمن يغلظ وطيف به بين أحياء القصر الكبير.[2] يقول الناصري :"...هبت على المسلمين ريح النصر، وساعدهم القدر ،وأثمرت أغصان رماحهم زهر الظفر ،فولى المشركون الأديار ،ودارت عليهم دائرة البوار، وحكمت السيوف في رقاب الكفار ...وقتل الطاغية سبستيان عظيم البرتغال غريقا في الوادي ..."[3] دامت المعركة أربع ساعات وثلث ساعة ،ولم يكون النصر فيها مصادفة ،بل كان لمعنويات عالية ،ونفوس شعرت بالمسؤولية ولخطة مدروسة مقررة محكمة ،فما هي الا 260 دقيقة فقط ومصير المغرب يتقرر الى الأبد عربيا مسلما.

3-نتائج المعركة:

- تعد المعركة التي سميت بمعركة وادي المخازن أو الملوك الثلاثة الذين لقوا مصرعهم أكبر ضربة تتلقاها المسيحية الكاثوليكية.
- أول معركة ينتصر فيها المغرب الأقصى على الصليبية.[4]
- بيعة أحمد المنصور السعدي بعد انتصار وادي المخازن سنة 1578م، فكتب الى القسطنطينية مقر السلطة العثمانية، يعلم السلطان مراد خان الثالث والى سائر ممالك الإسلام المجاورين للمغرب، بما أنعم الله عليه من نصر حاسم عظيم واخفاق الغزو الصليبي لأرض المغرب.
- وردت على أحمد المنصور رسال من سائر الأقطار مهنئين مباركين له بالنصر.
- أول وفود التهنئة بالنصر المغرب كان من الجزائر، ثم جاءت رسالة ملك البرتغال الجديد تحمل هدية عظيمة، ورسل الملك الاسباني فيليب الثاني تحمل هدية أعظم.
- أما البرتغال لم يصدقوا موت سبستيان بسهولة، فقالوا انه مأسور فقط، ثم سلمت جثته بالطرق الرسمية قال الشعب ان ملكهم لم يمت، وان له عودة مؤكدة في المستقبل. [5]

[1]شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص.66.
[2]كمال فيلالي، المرجع السابق، ص.207.
[3]الناصري، امرجع السابق، ج5،ص.71.
[4]كمال فيلالي، المرجع السابق، ص. 208
[5]شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص. 67

- استعيدت الوحدة المغربية وأصبح للسعديين هيبة في البحر الأبيض المتوسط بعد أن توالت عليه الهزائم منذ احتلال مدينة سبتة سنة 1415م.[1]
- فداء الأسرى عاد بأموال طائلة على بيت مال السعديين فاستفد منها في تنمية الصناعات، والمنشأت العمرانية.
- قويت ثقة الشعب المغربي بنفسه، فسادت فترة استقرار ورخاء وازدهار.
- اكتسب المغرب مكانة دولية عالمية، تمثلت بعض جوانبها بالسفارات التي بعثت الى مراكش.[2]
- يقول الناصري: "كانت هذه الغزوة من الغزوات العظيمة الوقائع الشهيرة حضرها جم غفير من أهل الله تعالى حتى أنها أشبه شيء بغزوة بدر."[3]

2-حملة علج علي على المغرب الأقصى سنة 1581م:

اعتلى عرش المغرب الأقصى أحمد المنصور السعدي الذي خلف أخيه السلطان عبد الملك المعتصم بأمر الله الذي بويع بعد انتهى معركة وادي المخازن سنة1578م الى غاية 1603م،غداة الواقعة التي تقدم الحديث عنها ثم جددت بيعته بفاس التي توافد عليه أعيانها وأعيان مراكش وغيرها، ولم يكد يستقر بفاس حتى توافد ت عليه وفود من أوروبا والبلاد الإسلامية وقدمت اليه هدايا من طرف وفود هذه الدول.[4] والجدير بالذكر أن أحمد المنصور قد بادر الى ارسال سفارة الى الجزائر وأخرى الى القسطنطينية، فور المبايعة له لإعلام السلطان العثماني مراد الثالث ، وولي الجزائر بالانتصار علي على الحملة البرتغالية وبجلوسه على عرش المغرب ، وقد قدم رسل السلطان العثماني هدية الى المنصور وان مضمون الرسالة لا يقتصر على التهنئة بالملك و النصر ولكن تتضمن أيضا عدة مطالب السلطان العثماني لم تكن لتجعل المنصور يهتز سرورا أعواده ،فقد نقلت اليه السفارة ثلاثة مطالب هي :[5]

1- طلب منه السلطان العثماني شمال المغرب نصيبا لابن أخيه إسماعيل الامر الذي يساعد الدولة العثمانية على التدخل فيه وبسط نفوذها عليه.

2- طلب مساعدته في تحرير وهران من الاسبان وهو اختبار المنصور في استعداد المنصور لامتثال لطلب السلطان العثماني.

---

[1] كمال فيلالي، المرجع السابق، ص.208
[2] شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص.76.
[3] الناصري، المرجعالسابق، ج5، ص82.
[4] إبراهيم حركات، المرجعالسابق، ص.297.
[5] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص.ص.254-255.

3- دعوته الى الإقرار بالسيادة العثمانية، كما كان الامر سابقا في عهد المتوكل علي الله وعبد الملك. [1]

طلب السلطان العثماني مراد الثالث من أحمد المنصور شمال المغرب لابن أخيه إسماعيل بن عبد الملك المقيم في الجزائر مع أمه العثمانية، وكان هدف العثمانيين من ذلك اضعاف المنصور وإيجاد عميل موال لهم في شمال المغرب مما يقوي أملهم في بسط نفوذهم على المغرب الاقصى ولكن المنصور أهمل السفير ورفض الرد عليه وحين وصل السفير الاسباني طلب منه مغادرة المغرب، توترت العلاقات المغربية العثمانية [2]. أصدر السلطان العثماني مراد الثالث في أوت 1579م قرار تخوفا من التقارب بأحمد المنصور بتعيين أحمد باشا الذي كان يشغل حينئذ منصب أمير الأمراء تونس بعد تنحيته عن الجزائر، واليا على تلمسان وتكليفه بالعمل على احباط أغراض المنصور، وشن الحرب عليه وطرده من مملكته، أن كانت المعلومات التي تلقاها شكوكه من أن المنصور يعتزم غزو الجزائر مع الاسبان، وأصدر أوامر الى باشا الجزائر و الى باشا تونس وباشا طرابلس بأن يقدموا لرمضان باشا، [3]كل القوات والمدفعية والذخيرة التي يحتاجها وأن يقوم كل واحد من جهته بما يطلبه منه رمضان باشا.

وفي هذه الاثناء حاول رمضان باشا سنة 1580م أن يتحالف مع داود بن عبد المؤمن السعدي ابن أخ أحمد المنصور الذي ثار ضد عمه في السوس بجنوب المغرب [4]التي سميت بثورة داود بن عبد المؤمن سنة 1579م-1580م حيث، كان داود بن عبد المؤمن يمنى نفسه بولاية العهد وقد وجد في أهل سوس أنصارا لثورته، فأسرع المنصور بتوجيه حملة استطاع سنة 1580م من محاصرة داود لكنه تمكن من الفرار الى الصحراء، وبالفعل استطاع المنصور القضاء على هذه الثورة وانتهى أمر داود بن عبد المؤمن في الصحراء سنة 1580م. [5]

حاول السلطان العثماني مراد الثالث قبل توجيه حملة ضد المغرب الاقصى التحالف مع المنصور بمختلف الوسائل ، وخاصة بعد أن نجح في القضاء على ثورة ابن أخيه داود، بعد تعين وليا جديدا على رأس الحكومة الجزائرية هو جعفر باشا[6]، كلف بتحسين العلاقات بينه و بين سلطان المغرب ،واجاد رباط مصهرة بينهما بزواج المنصور من احدى بناته، قد بعث السلطان العثماني رسالتين الى المنصور في أوت 1580م ،الأولى "فلما وصل بمسامعنا الشريفة ومشاعرنا الخاقانية المنيفة خبر طاغية قشتيلة فيليب الثاني

---

[1] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص.255.

[2] محمود على عامر، محمود خير فارس، المرجع السابق، ص.61.

[3] رمضان باشا في نهاية 1574م استلم مقاليد حكم البايلك في الجزائر، أختطف وهو شاب بسردينيا في يوم كان يرعى فيه قطيعه الصغير من الماعز اشتراه تاجر عثماني بالجزائر الذي كان يراه طفل موهوب وذكي أرسله الي المدرسة لحفظ اللغات العثمانية والعربية وكذا القراءة والكتابة وعندما كبر اهتم بالتجارة وبعدها راح يعين قائد مختلف مناطق البلاد. ينظرهايدو، المصدر السابق، ص.181.

[4] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص.257.

[5] ابن قومار جلول**"المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السعدي 1578م-1603م"** مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد20،(175-181)،غرداية ،2014م، ص. 1

[6] جعفر باشا اصبح والي على الجزائر 1581م ، أخذ وهو صغير ومعه امه و أخ كبير وأخت في اجتياح العثمانيون لهنغاريا .ونظرا لكونهم جميعا ذووا طلعة بهية، راحوا يقدمون الى أم السلطان التي تحكم الان .وقد اصبحوا خدما في بقصرها وزمن صغر الملك الأعظم جعفر الذي كان مولى وعبدا يحمله دائما بين يديه وهذا ما اعطى له عاطفة خاصة من الملك الذي لا يتأفف من أفعاله ،و هو يتولى العديد من الحكومات .ينظر، هايدو، المصدر السابق،ص.206.

وأنه أحتوى على سلطنة برتقل أو كاد ، وأنه جعل أهله في الأغلال والأصفاد ، و أنه لكم جار ، و عدو مضرار، حركتنا الحمية الإسلامية ، والمعرفة الأولية في النسأة الجندية لإظهار الألفة الأزلية في العوالم الشهورية اذا صارت قلوب الملوك الجنود المجندة للتعارف والتناصر والائتلاف انعقد الاجماع على خلوص المودة وارتفاع الخلاف ."[1]

وعرض في الرسالة الثانية: "اخترنا لكم الانتماء والانتساب أبوابنا العالية الأعتاب ليحصل لكم الارتقاء على ذروة أعلى المراتب، وقصوى المقاصد والمعارف والامتياز بين الملوك الزمان، بعلو القدر وسموا الشأن، وتكون أركان المودة بيننا مرصوصة البنيان المحبة مشيد الأركان. عهدنا الى أمير الأمراء الكرام ...جعفر باشا، أن يصهر لكم على احدى بناتنا وينوب بذلك عنا اسعافا لغرضكم المنيف..." ولكن المنصور الذي فهم فيمل يبدو أن للسلطان العثماني مقاصد بعيدة غير مألوفة من وراء عروضه المتقدسة كأن عرضه مثلا جره الى معاداة الاسبان لينفرد به في المغرب والا كيف يطلب السلطان العثماني شن حرب على الاسبان وأن يكون غرض المصاهرة عليه هو مد نفوذه الى المغرب.[2]تثاقل[3] المنصور عن رد الجواب لتأكده من عدم صدق نوايا العثمانيين اتجاهه وأنهم غير جادين في محاربة الاسبان بعد أن جددوا معهم اتفاقية الهدنة. في جانفي 1581م أي الأمر لا يخرج عن كونه وسيلة لغزو المغرب وضمه الى الإمبراطورية العثمانية وبسب إصرار المنصور على موقفه أعطيت الأوامر الى علوج قائد الأسطول العثماني لغزو المغرب الاقصى .[4]

وإثر تقرب المنصور من الاسبان وتثاقله عن الاستجابة لعروض السلطان العثماني مراد الثالث غضب هذا الأخير، ويبد أن علج علي[5] كان يحلم منذ كان بايلربايا مقيما في الجزائر الى ضم المغرب الاقصى الى الدولة العثمانية.

انتهز السلطان العثماني الفرصة للتدخل في المغرب الاقصى بقوة والقضاء على دولة السعديين فيها، أذن السلطان العثماني لعلج علي بالتوجه على رأس الأسطول العثماني لمنازلة أحمد المنصور في المغرب والقضاء على دولته.[6]

وصل علج علي الى الجزائر في جوان 1581م على رأس أسطول حربي يتكون من ستين قطعة حربية لغزو المغرب،[7] بالمقابل المنصور الذي أوفد عن طريق البحر سفارة تحمل هدية عظيمة الى السلطان العثماني بقصد الاعتذار له عن التأخر عن الجواب والعمل على إيقاف الحملة الموجهة

[1] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص .258-259.
[2] نفسه، ص ص .259-260.
[3] فالمنصور قد تعمد عدم الاهتمام بالوفد العثماني لعدة عوامل أهمها موقف العثمانيين ساعة بيعته وتأمرهم مع بعض قادة الجيش الإحاطة بحكمه في الشهر الأول من توليته الحكم، ثم الاتصالات التي كانت لهم مع داود بن عبد المؤمن علاوة على ايوائهم للأمير إسماعيل بن عبد الملك المعتصم في الجزائر، فهذه العوامل باعدت بين المنصور والعثمانيين ودافعته الى التقرب من الاسبان. ينظر، القشتالي، المصدر السابق، ص.61.
[4] عبد الكريم، كريم، المرجع السابق، ص.112.
[5] علج علي من أسرى نصارى صقلية، تربى في أحضان القراصنة ووصل الى أعلى مرتبه في البحرية العثمانية، ولاه السلطان على الجزائر في أوت1568م ثم أصبح وزيرا للبحرية الى أن توفي سنة 1587م.ينظر، القشتالي، المصدر السابق، ص.61.
[6] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص.260-261.
[7] القشتالي، المصدر السابق، ص.61.

ضده[1]، ومن جهة أخرى طلب المساعدة من الملك الاسباني على أساس المساعدة العسكرية للمغرب لمواجهة التدخل العثماني مقابل التنازل عن مدينة العرائش وامتيازات مهمة أخرى.[2]

اعتذر السفير وأحسن مخاطبة السلطان مراد الثالث ،واعتذر له عن تأخر المنصور على الجواب لمطالبه ،فقبل السلطان مراد الثالث الاعتذار والهدية ،وكتب مع السفير المغربي أمره للعلج علي بالتوقف عما كان بصدده والعودة الى المشرق ،فلم يكمل علج علي حملته على المغرب وعاد الى القسطنطينية. بالمقابل استقبل المنصور السفارة العثمانية استقبالا حسننا وبعث سفارة أخرى الى السلطان العثماني في 1582م عملت على تحسين العلاقات بين الطرفين.[3]

واذا أخذنا بعيين الاعتبار موقف جند وباشا الجزائر من حملة علج علي على المغرب الأقصى فان الحملة التي جهزها علج علي ضد أحمد المنصور سنة 1581م تراجعت نتيجة موقف الجيش الانكشاري في الجزائر وهو موقف معادي لعلج علي ورفض أوامره بالمشاركة معه في الحملة ،خشية من كراهيته لهم وحقده عليهم نتيجة لتهديداتهم المتكررة بقتله وطلب تغييره برمضان باشا ،وأعلنوا أنهم لا يطيعون الا أوامر مباشرة من السلطان فقط بل وأرسلوا سفارة الى السلطان يطالبون فيها بعدم السماح لعلج علي بالاستيلاء على المغرب الأقصى لأن علج علي كان يسيطر على طرابلس الغرب من خلال أحد اتباعه من الأعلاج ،يستطيع أن يثور بسهولة ،ويمكن أن يصبح سيد على بلاد المغرب.[4]

وهكذا يكون الجند والباشا في الجزائر فيها هم الذين دفعوا السلطان العثماني الى التراجع عن غزو المغرب الأقصى، بما أثاروه من شكوك لدى الباب العالي حول قائد الحملة ،ولكن تلك الشكوك لم تثبت ولذلك احتفظ العلج على منصبه الى أن توفي سنة 1587م،[5]هذا ما أكده عمار بن خروف في كتابه ان المصادر المغربية تقول أن سبب فشل الحملة يعود الى نجاح سفارة المنصور في الاعتذار لدى السلطان العثماني عن تأخره في الرد على عروضه ،ولكن البحث العميق في الأسباب يكشف أن هناك عدة عوامل جعلت السلطان العثماني ينتهز فرصة تقديم السفارة المغربية لاعتذار المنصور ليتراجع عن أمره بغزو المغرب الاقصى، لكن اذا نظرنا في موقف جعفر باشا في تأييد رأى الجنود الانكشارية وتأمرهم على علج علي يمكن القول أنه السبب الرئيسي من تراجع السلطان العثماني عن قراره وتخوفه من تمرده عليه وكذلك انشغال الدولة العثمانية في حروبها مع الصفويين في المشرق كان لا بد عليه من توجيه كل طاقته العسكرية في تلك الحروب.[6]

---

[1]عمار بن خروف، المرجع السابق، ص.261.
[2]عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص.112.
[3]عمار بن خروف ،المرجع السابق ، ص ص.261-262.
[4]زينب لخلف، " **العلاقات السياسية الجزائرية المغربية في عهد أحمد المنصور الذهبي (1578م-1603م)** " مجلة العبر التاريخية والأثرية فيشمال افريقيا، المجلد5 ،العدد3،جامعة الجزائر 2 أبو قاسم سعد الله، (509-529)،2022،ص.11.
[5]نفسه ،ص.12.
[6]عمار بن خروف ، المرجع السابق ، ص ص .262-264.

مجمل القول بعدما إطلعنا عليه من مصادر ومراجع حول علاقة ايالة الجزائر والمغرب الأقصى اتسمت بالسلبية في غالب الأحيان حيث نشبت عدة حروب بين الظرفين وأول من بدأ في هذه النزاعات هو محمد الشيخ السعدي، فبعد سيطرته على حكم المغرب الأقصى وطرده للوطاسين من فاس سنة 1549م بعد صراع طويل بين الطرفين والإحاطة بأخير سلاطينهم وهو أبو حسون الوطاسي الذي طلب الاستغاثة من السلطان العثماني.

تمكن محمد الشيخ السعدي أخيرا مد نفوذه الى شمال المغرب وسعى الى إقامة دولة منفصلة عن الدولة العثمانية إذ أنه أنكر شرعية الدولة العثمانية وحجته في ذلك أنهم ليسوا من العرب. بعدما سيطر محمد الشيخ على حكم المغرب وجه أنضاره على مدن غرب الجزائر لأن في نظره له الأحقية في الحكم أكثر من الدولة العثمانية، والشرعية من حكام مدينة الجرائر الذين تركوا بلادهم للغرباء وفي نظره أن الدولة السعدية لها الأحقية في الخلافة نظرا لنسبها الشريف وهذا ما أكده بحملته على تلمسان سنة1550م،وتمكنت القوات الجزائرية العثمانية من اخراج محمد الشيخ السعدي من مدينة تلمسان.

بالمقابل في سنة 1554م قاد صالح رايس حملة بأمر من السلطان العثماني سليمان القانوني الى المغرب الأقصى لمساعدة أبو حسون الوطاسي الذي اعترف بالخلفة العثمانية لاسترجاع عرشه وفعلا تمكنوا من تنصيب أبو حسون مرة أخرى على عرش فاس فسكوا العملة باسم السلطان العثماني، لكن هذا لم يدم طويلا حيث تمكن محمد الشيخ السعدي القضاء على دولة بني وطاس، وتخوفا من نفوذ الدولة العثمانية تحالف محمد الشيخ السعدي سنة 1555م مع الاسبان والبرتغال للقضاء على الحكم العثماني الذي يهدد عرشه، هذا ما دفع بالسلطان العثماني وضع للمحمد الشيخ السعدي بعد عدة محاولات التفاهم لكن دون جدوى. بعد وفاة محمد الشيخ خلفه ابنه عبد الله الغالب الذي بويع بمراكش ثم فاس كما ولى الخلفة لابنه محمد المتوكل ، سار على نهج أبيه ،قام بتصفية الذين قتلوا والده أولا، كما عمل على موالاة الاسبان و مواجهة القوات الجزائرية العثمانية في معركة وادي اللبن سنة 1558م، و ما جعله أكثر حذرا هو مخاوفه من لجوء أخويه عبد الملك وأحمد المنصور الى الجرائر الذين طالبوا من السلطان العثماني استرجاع عرشه بالمغرب الأقصى ،و نظرا للخدمات الجليلة التي قدمها الأخوين من جهاد ضد النصارى الى جانب ايالة الجزائر قرر السلطان العثماني دعمه ليستعدوا ملك أبيهما. تمكن عبد الملك السعدي من دخول فاس سنة 1576م، ككل مرة انسحاب الجيش الجزائري من المغرب الأقصى بعد أداء مهمته بعد تنصيب عبد الملك على عرش فاس.

في سنة 1578م قاد الملك البرتغال دون سبستيان حملة على المغرب الأقصى بطلب من محمد المتوكل ضد عمه، المعرفة بحملة وادي المخازن أو الملوك الثلاثة وهي أول معركة ينتصر فيها المغرب الأقصى

على النصارى بمشاركة القوات الجزائرية العثمانية الى جانب عبد الملك السعدي التي أدت الى وفت الملك البرتغالي دون سبستيان وعبد الملك المعتصم الذي كان مريض قبل سنة من المعركة حسب المصادر والمراجع وكذلك موت محمد المتوكل، انتهت المعركة بموت الملوك الثلاثة.

في سنة 1581م شنى علج على حملة عسكرية على المغرب الأقصى بأمر من السلطان العثماني مراد الثالث بعد كل محاولات التفاهم مع أحمد المنصور السعدي، لكل هذه الحملة لم تكتمل بعدما طالب أحمد المنصور العفو من السلطان العثماني مراد الثالث وكان أخر تدخل من طرف القوات الجزائرية العثمانية فى المغرب الاقصى، ولم تصبح إيالة عثمانية.

الخاتمة

الخاتمة:

-شهد المغرب الأوسط تحولات سياسية خلال القرن السادس عشر، فبسبب الصعف السياسي الداخلي للسلطة المركزية، تعرضت معظم سواحله للغزو الخارجي الاسباني، الذي عرف نوعين من الاحتلال فهناك مدن خضعت بالقوة العسكرية منها المرسى الكبير 1505م ومدينة وهران 1509م، وهناك مدن أخرى فرضوا عليها معاهدة الولاء كمدينة تنس والجزائر.

-هذه الأوضاع دفعت بأعيان مدينة الجزائر طلب المساعدة من عناصر خارجية، في تلك الفترة ذاع صيت الاخوة عروج وخير الدين بأنهم يحاربون الكفار في سبيل رفع الراية الإسلامية وبالفعل تمكن عروج وخير الدين بربروس تحرير معظم السواحل الجزائرية من الاحتلال الاسباني بعد عدة محاولات، التي أدت بحياة عروج، فقرر خير الدين المغادرة وترك البلاد لأصحابها لكن طلبوا منه البقاء، قبيل لكن بشرط الانضواء تحت الحكم العثماني.

-انضوت الجزائر رسميا الى الدولة العثمانية سنة 1519م وتم تعيين خير الدين بربروس أول بايلربايا عليها.

-وبالنسبة المغرب الأقصى، خلال القرن السادس عشر الذي كان تحت حكم الأسرة الوطاسية التي خلفت المرنيين تعاني من الصعف الداخلي والصراعات على الحكم، فأستغل الاسبان والبرتغال هذا الضعف، واحتلوا عدة مدن وموانئ استراتيجية مثل سبتة ومليلية وغيرها.

-في ظل هذه الظروف، ظهرت الأسرة السعدية في الجنوب المغربي بمنطقة سوس الذين ادعوا النسب الشريف، فبدأ السعديون حركتهم الدينية والجهادية ضد الغزو الابيري، وحققوا الكثير من الانتصارات مما أكسبهم شعبية.

-تم مبايعة القائم بأمر الله فرد من الأسرة السعدية بعد اتفاق أعيان المغرب الأقصى في الجنوب المغربي بمراكش. هذا ما ولد صراع بين الأسرة الوطاسية الحاكمة في فاس وبين الأسرة السعدية التي ظهرت من جديد في مراكش، كقوة دينية وحربية تدعو للجهاد ضد البرتغال والاسبان.

-لم يقتصر هدف السعديين على محاربة الخطر الخارجي فقط، بل سعوا الى اسقاط حكم الوطاسيين وتوحيد المغرب الأقصى تحت سلطتهم ونتج عن ذلك نزاعات وحروب بين الطرفين أدى الى تأزم

الأوضاع، تمكن أعيان المغرب من الوصول الى حل وهو تقسيم المغرب الأقصى بينهما الوطاسيين في الشمال والسعديين في الجنوب.

-في سنة 1549م قام محمد الشيخ السعدي بمحاولة القضاء على الأسرة الوطاسية ولم يبقى منهم سوى أبو حسون الوطاسي الذي طلب المساعدة من السلطان العثماني سليمان القانوني لكنه وقع أسيرا في يد البرتغال.

-بعدما انفرد محمد الشيخ السعدي بحكم المغرب الاقصى طمحت نفسه بالتوسع على حساب مدينة الجزائر التي كانت تحت السيادة العثمانية، شن محمد الشيخ السعدي سنة 1550م حملة عسكرية على مدينة تلمسان هذا ما سبب التوتر بين الطرفين، فبدأت العلاقة بين الجزائر والمغربالأقصى تعرف نوع من التعقيد والتنافس، بالرغم من تمكن صالح رايس من التصدى لهذه الحملة وإخراج السعديين من مدينة تلمسان.

-عثر صالح رايس في إحدى السفن البرتغالية على أبو حسون الوطاسي الذي سبق له وأن طلب المساعدة من الباب العالي، أمر السلطان سليمان بشن حملة على المغرب الأقصى بقيادة صالح رايس بالمساعدة من القوات الجزائرية لاسترجاع عرش أبوحسون في فاس من السعديين سنة 1554م.تم تنصيب أبو حسون مرة أخري على عرشه، لكن بعد انسحاب القوات الجزائرية العثمانية من المغرب قضى محمد الشيخ السعدي عليه وعلى الأسرة الوطاسيية نهائيا.

-قام محمد الشيخ السعدي بعقد اتفاق مع القوى الأوروبية المنافسة للعثمانيين للقضاء على الدولة العثمانية تخوفا من توسعها على المغرب الأقصى.

-هذا التحالف الذي عقده محمد الشيخ السعدي أدى بحياته، فكل محولات الدولة العثمانية التواصل الى التفاهم مع محمد الشيخ دون جدوى.

-بوفاة محمد الشيخ السعدي بويع ابنه محمد الغالب، أول ما قام به القضاء على العثمانيين الذين قتلوا والده.

-محمد الغالب بأمر الله كان قاسيا مع أفراد أسرته فقتل من قتل. وتمكن أخويه عبد الملك وأحمد المنصور الفرار الى ايالة الجزائر هذا ما أكدته المصادر المغربية.

-انشقي البيت السعدي الى طرفين من كان يرفض اطلاقا الحكم العثماني، والبعض الأخر يلجأ اليها من أجل طلب المساعدة.

-سار محمد الغالب على نهج والده في موالاة الاسبان وكذلك في معاملاته العدائية مع الدولة العثمانية، وخاصا تخوفه من تواجد أخويه في ايالة الجزائر. فنصب ابنهمحمد المتوكل واليا للعهد.

-في سنة 1576م تولي محمد المتوكل عرش المغرب الأقصى، وأول ما حدث في عهده أنه تواجه مع القوات الجزائرية العثمانية في معركة وادي اللبن وفيها انسحبت القوات العثمانية.

-قدم عبد الملك السعدي وأحمد المنصور عدة مساعدات أثناء تواجدهم في إيالة الجزائر منها تحرير مدينة تونس من الاسبان، هذا ما دفع السلطان العثماني مراد الثالث تقدم مساعدات الاسترجاع عرشهم المغرب الاقصى، قادت القوات الجزائرية العثمانية حملة عسكرية ضد محمد المتوكل السعدي، وتمكن عبد الملك وأحمد المنصور دخول المغرب الأقصى من جديد، كون أن الحكم في الأسرة السعدية يكون للأكبر .

-التجأ محمد المتوكل الى البرتغال وأقنع دون سبستيان الملك البرتغالي بمساعدته للقضاء على عمه عبد الملك السعدي في المغرب الأقصى.

- نتيجة لهذه للصراعات على العرش اتفق محمد المتوكل مع الملك البرتغالي دون سبستيان لشن حملة عسكرية على المغرب الأقصى،سميت هذه بمعركة وادي المخازن أو الملوك الثلاث سنة 1578م أين تقابل الجيش المغربي بمساعدة القوات الجزائرية العثمانية بقيادة عبد الملك السعدي ضد محمد المتوكل مع القوات البرتغالية بقيادة دون سبستيان وانتهت المعركة بموت ثلاثة ملوك، دون سبستيان محمد المتوكل السعدي، عبد الملك السعدي.

-في سنة 1581م شنى علج على حملة عسكرية على المغرب الأقصى بأمر من السلطان العثماني مراد الثالث بعد كل محاولات التفاهم مع أحمد المنصور السعدي، لكل هذه الحملة لم تكتمل بعدما طالب أحمد المنصور العفو من السلطان العثماني مراد الثالث ولم تصبح المغرب الأقصى إيالة عثمانية، حيث كان أخر تدخل للقوات الجزائرية العثمانية في المغرب الاقصى.

– بالنسبة للإيالة الجزائر، فبعد انتهاء عصر البيلربايات سنة 1587م تاريخ وفاة علج علي. دخلت الجزائر عصر الباشوات الذي قلص فيه السلطان العثماني عهدة حكام الجزائر الى ثلاث سنوات،إذ كان يرسل الباشا من الأستانة أي إسطنبول.

–في هذه الفترة على الرغم من أن الباشا كان يمثل السلطة العليا، الا أن سلطته كانت محدودة بسبب نفوذ فرقة الإنكشارية وطائفة الرياس (القادة البحرية).

–فنظرا لقصر مدة ولايتهم، كان عديد من الباشوات يركزون على جمع الثروة وتحقيق مصالحهم الشخصية جل فترة الحكم، فمثلا لجأ البعض منهم الى شراء المنصب بالرشاوى والهدايا.

–الصراع على السلطة حيث شهدت هذه الفترة صراعات داخلية على السلطة بين الإنكشارية وطائفة الرياس. وازدادت عملية النهب التي يقوم بها عناصر الإنكشارية.

–بعد 1587م دخل كل من المغرب الأقصى والجزائر مرحلة جديدة من تاريخها، نجح المغرب في الحفاظ على استقلاله وصد محاولات الدولة العثمانية لضمه، ويعود ذلك لقوة السعديين، فبعد فترة من القوة والاستقرار دخل المغرب في صراعات داخلية على السلطة بين أبناء المنصور الذهبي. أما الجزائر شهدت تحولا في نظام الحكم، حيث استبدل البيلربايات بالباشوات الذين كانوا يعينون مباشرة من مركزالسلطة العثمانية إسطنبول.

–خلاصة القول أن العلاقات بين الجزائر تحت الحكم العثماني، والمغرب الأقصى تحت حكم الدولة السعدية، خلال الفترة 1549م–1603م اتسمت بالتعقيد والتنافس، تأرجحت بين التحالف والعداء، فان انعدام الثقة والتنافس على الزعامة في المنطقة أبقى الباب مفتوحا للتوترات والصراعات.

الملاحق

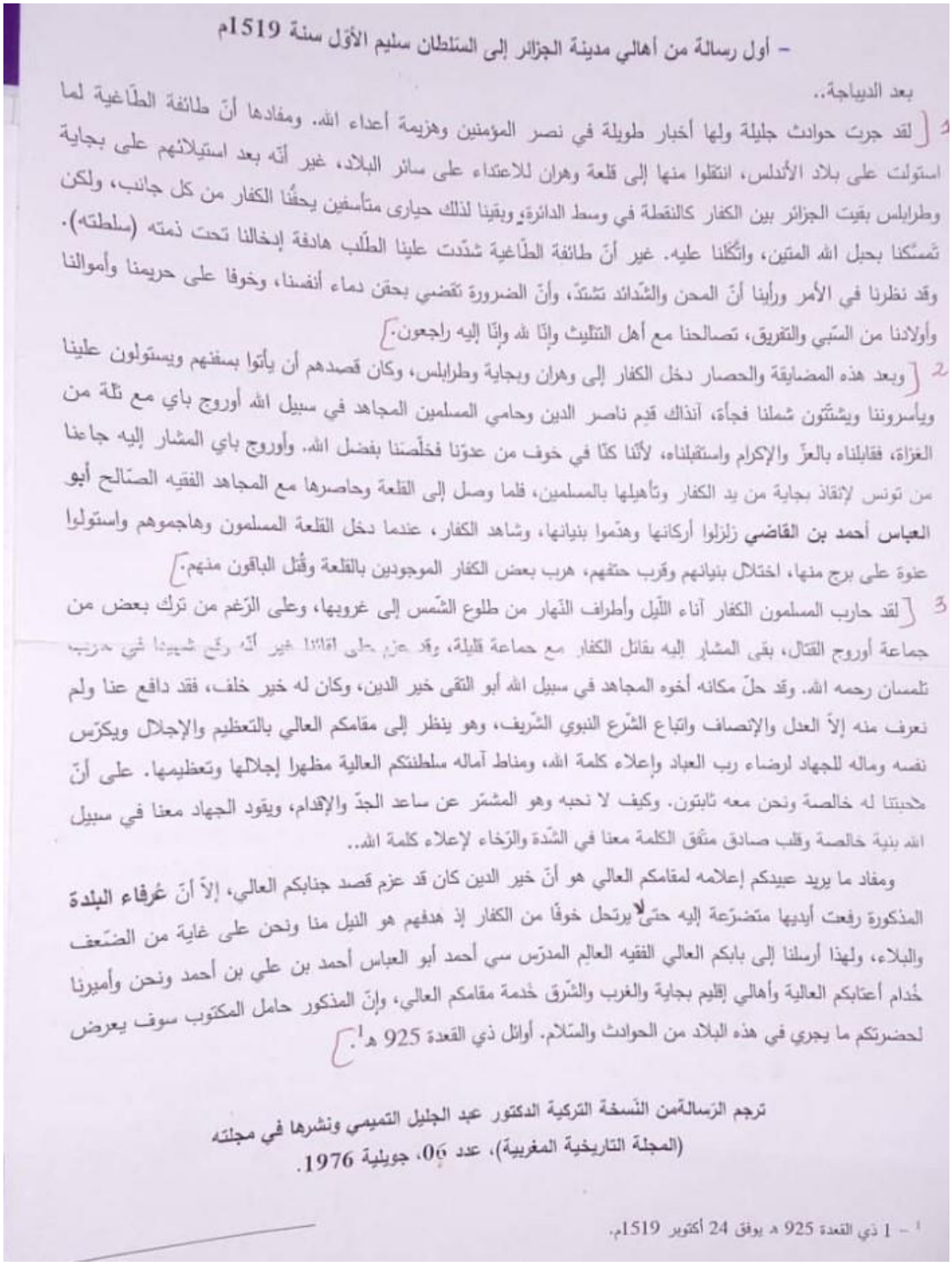

– أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السّلطان سليم الأوّل سنة 1519م

بعد الديباجة..

1 لقد جرت حوادث جليلة ولها أخبار طويلة في نصر المؤمنين وهزيمة أعداء الله. ومفادها أنّ طائفة الطّاغية لما استولت على بلاد الأندلس، انتقلوا منها إلى قلعة وهران للاعتداء على سائر البلاد، غير أنّه بعد استيلائهم على بجاية وطرابلس بقيت الجزائر بين الكفار كالنقطة في وسط الدائرة، وبقينا لذلك حيارى متأسفين يحفّنا الكفار من كل جانب، ولكن تمسّكنا بحبل الله المتين، واتّكلنا عليه. غير أنّ طائفة الطّاغية شدّدت علينا الطّلب هادفة إدخالنا تحت ذمته (سلطته). وقد نظرنا في الأمر ورأينا أنّ المحن والشّدائد تشتدّ، وأنّ الضرورة تقضي بحقن دماء أنفسنا، وخوفا على حريمنا وأموالنا وأولادنا من السّبي والتفريق، تصالحنا مع أهل التثليث وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

2 وبعد هذه المضايقة والحصار دخل الكفار إلى وهران وبجاية وطرابلس، وكان قصدهم أن يأتوا بسفنهم ويستولون علينا ويأسروننا ويشتّتون شملنا فجأة، آنذاك قدم ناصر الدين وحامي المسلمين المجاهد في سبيل الله أوروج باي مع ثلة من الغزاة، فقابلناه بالعزّ والإكرام واستقبلناه، لأنّنا كنّا في خوف من عدوّنا فخلّصنا بفضل الله. وأوروج باي المشار إليه جاءنا من تونس لإنقاذ بجاية من يد الكفار وتأهيلها بالمسلمين، فلما وصل إلى القلعة وحاصرها مع المجاهد الفقيه الصّالح **أبو العباس أحمد بن القاضي** زلزلوا أركانها وهدّموا بنيانها، وشاهد الكفار، عندما دخل القلعة المسلمون وهاجموهم واستولوا عنوة على برج منها، اختلال بنيانهم وقرب حتفهم، هرب بعض الكفار الموجودين بالقلعة وقُتل الباقون منهم.

3 لقد حارب المسلمون الكفار آناء اللّيل وأطراف النّهار من طلوع الشّمس إلى غروبها، وعلى الرّغم من ترك بعض من جماعة أوروج القتال، بقي المشار إليه بقائل الكفار مع جماعة قليلة، وقد عزم على إقالتنا غير أنّه رُكم شهيدا في حرب تلمسان رحمه الله. وقد حلّ مكانه أخوه المجاهد في سبيل الله أبو التقى خير الدين، وكان له خير خلف، فقد دافع عنا ولم نعرف منه إلاّ العدل والإنصاف واتباع الشّرع النبوي الشّريف، وهو ينظر إلى مقامكم العالي بالتعظيم والإجلال ويكرّس نفسه وماله للجهاد لرضاء ربّ العباد وإعلاء كلمة الله، ومناط آماله سلطنتكم العالية مظهرا إجلالها وتعظيمها. على أنّ محبتنا له خالصة ونحن معه ثابتون. وكيف لا نحبه وهو المشمّر عن ساعد الجدّ والإقدام، ويقود الجهاد معنا في سبيل الله بنية خالصة وقلب صادق متّفق الكلمة معنا في الشّدة والرّخاء لإعلاء كلمة الله..

ومفاد ما يريد عبيدكم إعلامه لمقامكم العالي هو أنّ خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي، إلاّ أنّ **عُرفاء البلدة** المذكورة رفعت أيديها متضرّعة إليه حتى لا يرتحل خوفا من الكفار إذ هدفهم هو النيل منا ونحن على غاية من الضّعف والبلاء، ولهذا أرسلنا إلى بابكم العالي الفقيه العالم المدرّس سي أحمد أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ونحن وأميرنا خُدام أعتابكم العالية وأهالي إقليم بجاية والغرب والشّرق خدمة مقامكم العالي، وإنّ المذكور حامل المكتوب سوف يعرض لحضرتكم ما يجري في هذه البلاد من الحوادث والسّلام. أوائل ذي القعدة 925 هـ[1].

ترجم الرّسالةمن النّسخة التركية الدكتور عبد الجليل التميمي ونشرها في مجلته (المجلة التاريخية المغربية)، عدد 06، جويلية 1976.

[1] – 1 ذي القعدة 925 هـ يوفق 24 أكتوبر 1519م.

ملحق رقم 2: تمثل رسالة أرسلها أعيان الجزائرمن أجل طلب الإلحاق والانضمام للدولة العثمانية سنة 1519م.[1]

[1] عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية، عدد 6، جويلية 1976.

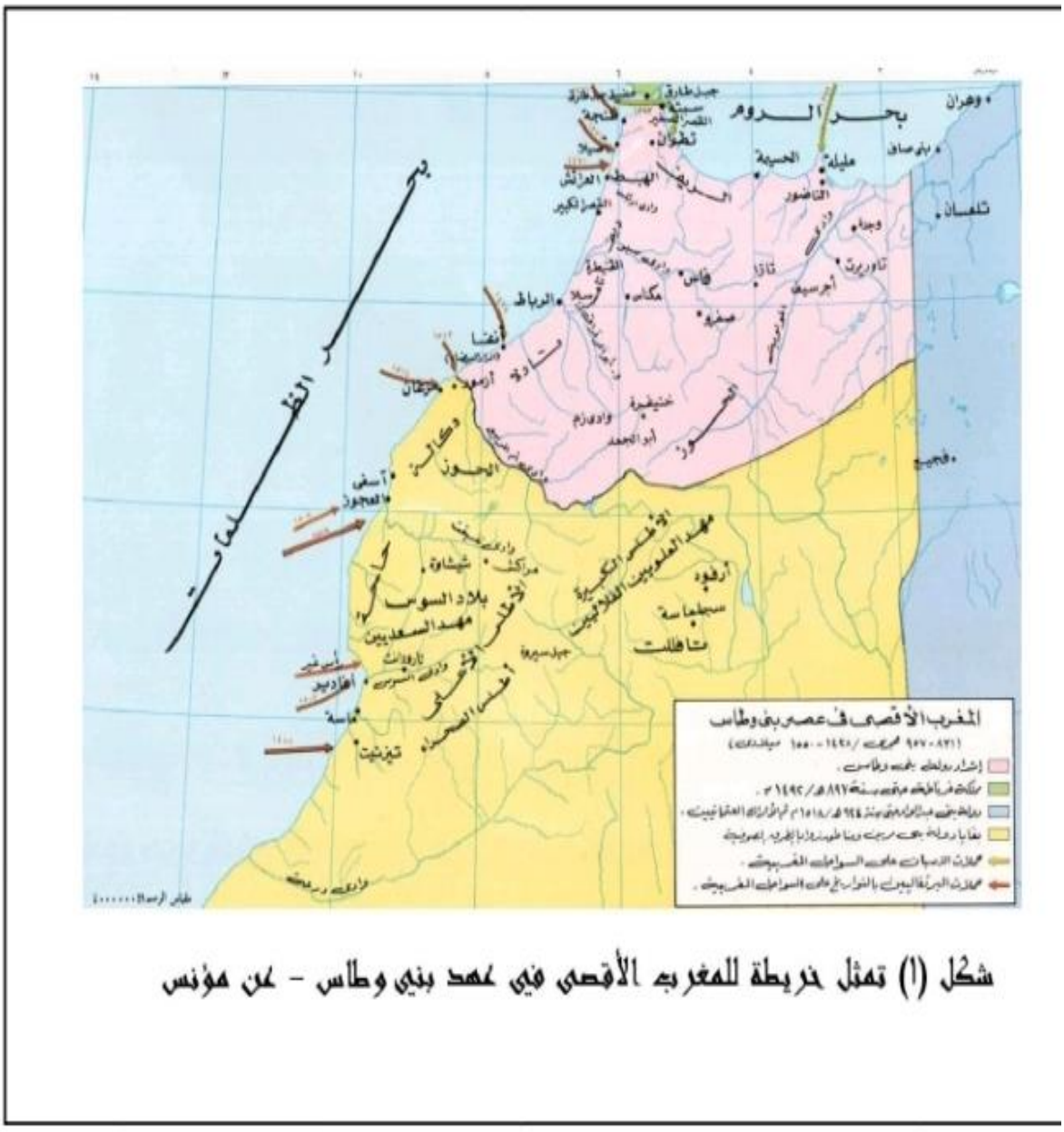

شكل (1) تمثل خريطة للمغرب الأقصى في عهد بني وطاس - عن مؤنس

ملحق رقم2: خريطة تمثل المغرب الأقصى في عهد بني وطاس.[1]

[1] نيرة رفيق، جلال فتحي المرجع السابق،ص.9.

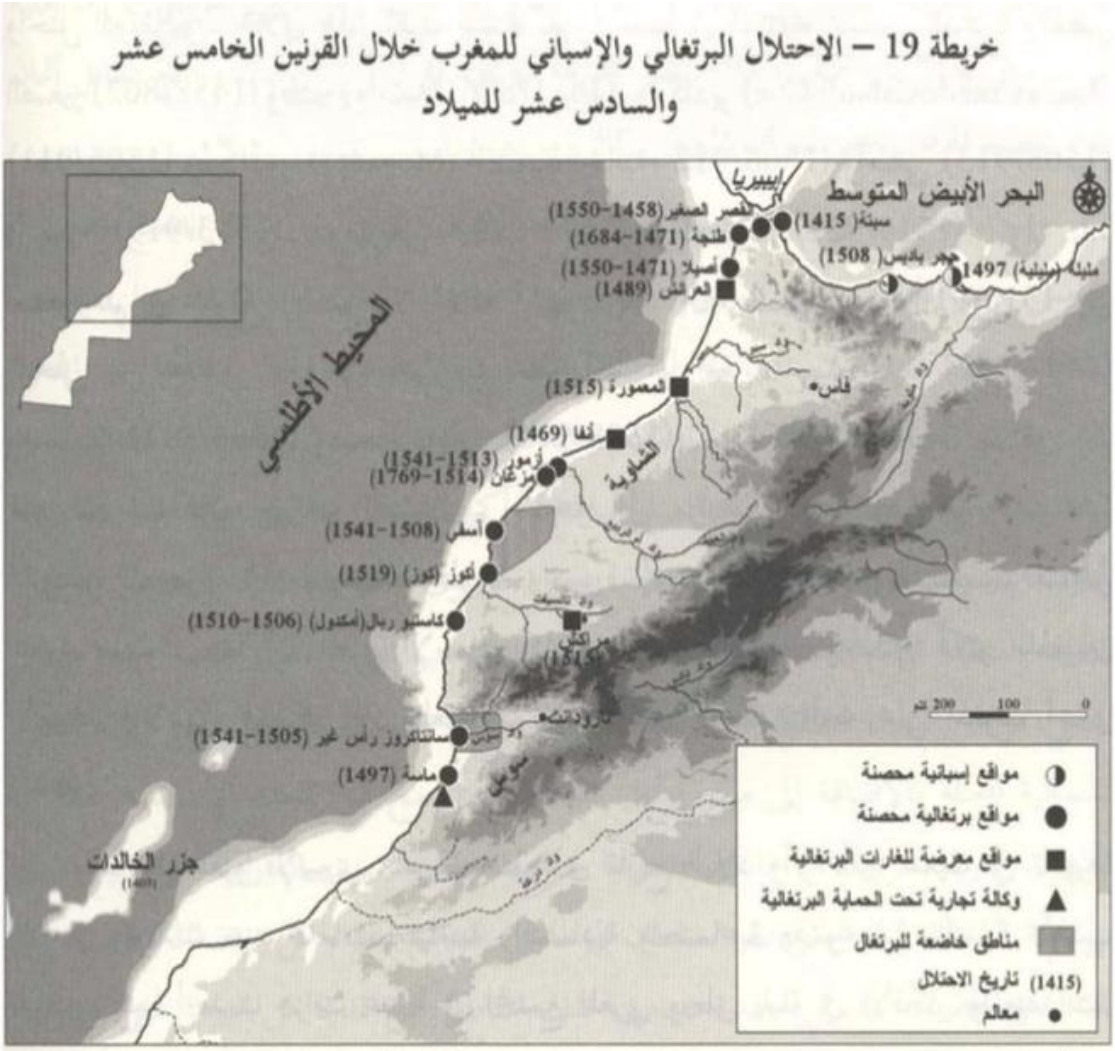

عن أحمد بوشرب، مغاربة البرتغال خلال القرن السادس عشر، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1986، ص 23.

324

ملحق3: خريطة الاحتلال البرتغالي والاسباني للسواحل المغربية .[1]

[1] محمد القبلي، المرجع السابق، ص324.

وثيقة عثمانية حول معركة وادي المخازن

إلى حسن باشا أمير أمراء جزاير المغرب .

وردت رسالة الى دارالسعادة جاء فيها ان ملك البرتغال يستعد منذ ثلاثة اشهر لجمع عساكره وان البابا ودوق فرنسا قاما بإرسال اربع او خمس بوارج محملة بالمحاربين والذخيرة لمعاونة البرتغال كما وصل ملك البرتغال الى حدوده واجتمع مع ملك اسبانيا ولم يعلم ما دار بينهما من مشاورات، وقد سمع انه تقرر ان يزوج ملك اسبانيا ابنته لملك البرتغال وان يقوم على وجه السرعة باعداد عشرة آلاف محارب لمساعدته كما يقدم له ستين قادرغه لمساعدته في العبور الى شاطئ الغرب لان ما لدى ملك البرتغال من السفن لا يتجاوز الثمانية، أما عن افكارهم الفاسدة فلا تعرف توجهاتها ويبدو أن ملك اسبانيا سوف يسير في الشتاء الى فلاندرة لانها شقت عصا الطاعة عليه منذ السنة الماضية ولكنه اذا توجه الى فلاندرة فسوف يترك ولايته خالية وسوف يضطر الى عقد صلح مع سدتنا.

ومن المحتمل ان يسير ملك البرتغال الى مولاي عبد الملك لأن ابن اخيه مولاي محمد التجأ الى قلعة سبتة التي تحت يد الكفار وتخابر مع ملك البرتغال وحمل رجاله عدة رسائل اليه، وبعد وصولهم الى تلك القلعة اتصلوا بملك البرتغال وحلفائهم من امراء الحدود وذلك بغية نشر افكارهم الفاسدة وقد صادفتهم اثناء سيرهم في البحر جند مولاي عبد الملك والقوا القبض عليهم، وبعد الوقوف على امرهم تَمَّ قتل اثنين منهم وسجن الثالث.

اما مولاي عبد الملك فيستعد للحرب وقد قام بإرسال اخيه مولاي احمد بصحبة ما يقرب من عشرة آلاف جندي وتوجه هو بصحبة أربعين أو خمسين الف جندي واتخذت اجراءات الحيطة في انحاء الولاية، وعليك حاليا

(حسن باشا) القيام بتعيين الف وخمسمائة من عسكر الجزائر واثني عشر أميراً وارسالهم الى مناطق الحدود، وتجهيز عشرين قطعة بحرية كل منها على اهبة الاستعداد للغزو والجهاد، وقد ذكرت انهم على استعداد لتقديم أرواحهم فداء للدين والدولة فلتبيض وجوههم. ومولانا هذا واحد منهم ..

وعساكرنا في دار الجهاد ولاية جزاير الغرب هم عبيد الغاري وعلى استعداد دائم لتقديم انفسهم وأرواحهم في سبيل العزة والهمايونية وهم غزاة شجعان.

وقد أمرت :

حين تسلمكم اوامرنا أن تقوم بجمعهم وارضائهم كما يجب وان يكون كل منهم كما كان من قبل مجهزا ومعدا لقتال العدو ولترغيبهم في الجهاد والغزو وأن لا تغفل لحظة ان ترسل العيون الى كل ناحية لتتبع احوال العدو، وان تبذل ما عليك في سبيل الدين والدولة.

أرشيف أسطمبول،

ترجمة ابراهيم بن حدّة

ملحق رقم4: وثيقة عثمانية حول معركة وادي المخازن عبد الملك السعدي يطلب المساعدة من الجيش الجزائري[1].

[1] دلندة الأرقش وأخرون، المرجع السابق، ص ص.75-77

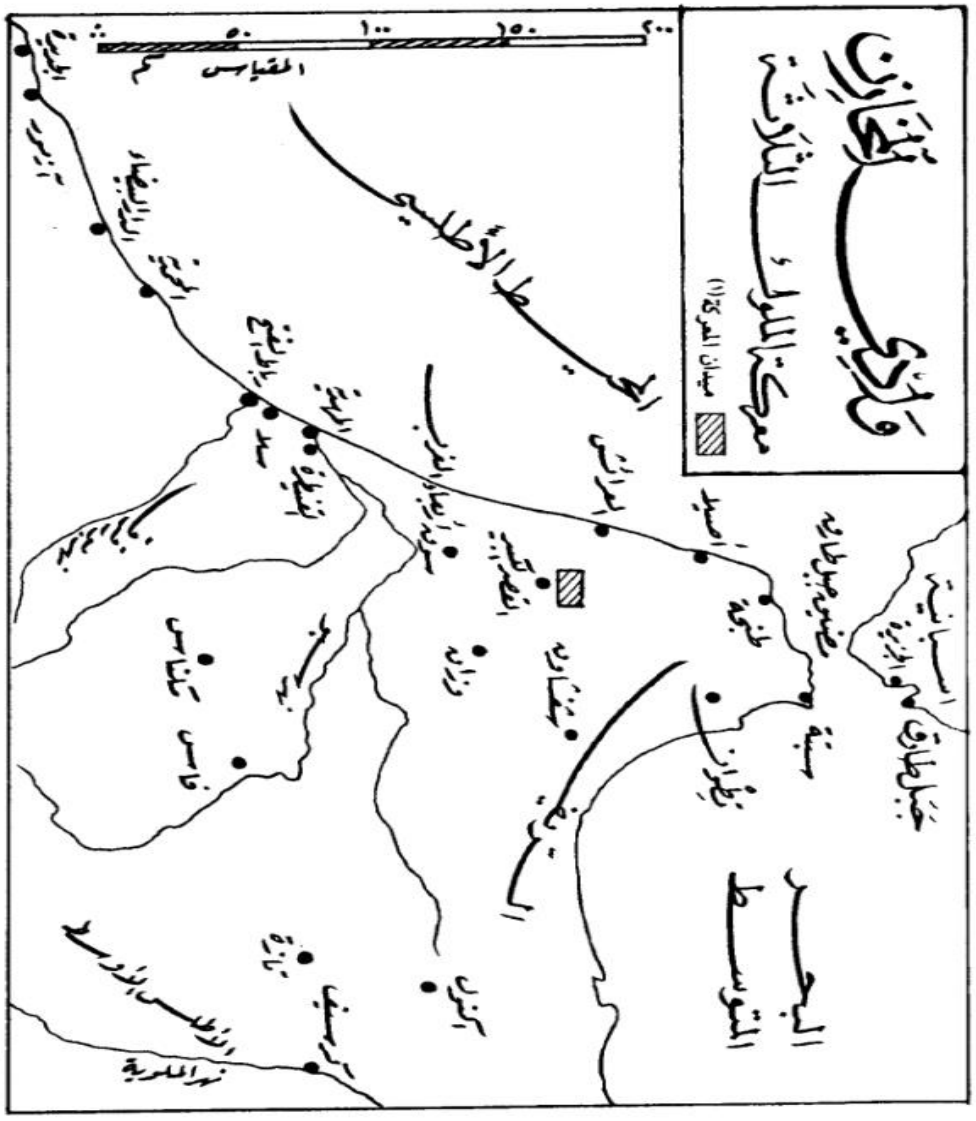

(1) انظر ص ٦٠ حيث تشكيلات الجيشين

- ٥٩ -

ملحق رقم 6: تشكيلات الجيش في معركة وادي المخازن.[1]

[1]شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص.59.

القائمة البيبليوغرافية

المصادر والمراجع:

المصادر بالعربية:

- بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين بربروس، تر، محمد دراج، ط2، دار طيطلية، 2015م.
- دي طوريس دييكو، تاريخ الشرفاء، تر، محمد حجي، محمد الأخضر، دط، ج1، جامعة محمد الخامس، مكتبة الأداب القنيطرة، 1989م.
- دي هنين خورخي، وصف المماليك المغربية (1603م-1613م)، تح، عبد الواحد أكمير، ط1، معهد الدراسات الافريقية، 1997م.
- القشتالي أبي فارس عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح، عبد الكريم كريم، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية دس.
- كربخال مارمول، افريقيا، ج1، تر، محمد حجي وأخرون، دط، ج1، مكتبة المعارف، المغرب، 1989م.
- كور أوغست، دولة بني وطاس(1420م-1554م)، تر، محمد فتحة، دط، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2010م.
- المؤلف المجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تق، تح، عبد الرحيم بنجادة، ط1، مراكش، 1994م.
- الوزان حسن، وصف افريقيا (ليون الافريقي)، تر، محمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، 1983م.
- الوفراني بن عبد الله محمد الحاج محمد الصغير النجار المراكشي الوجار، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، دط، صحح عباراته التاريخية، هوداس السيد، طبع على يد يردين، 1777م.

بالفرنسية:

- D.Rivet, Histoir du Maroc, France, à Saint-Amand-Montrond 2012.
- H.Degramont, Histoire d'Alger-sous la domination Turque (1515-1830), Paris, Ernest Le Roux editeur 28, Rue Bonapart,1887.

- **المراجع:**

- أبو خليل شوقي، وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة، القصر الكبير، ط1، دار الفكر، دمشق،1977م.
- الأرقش دلندة وأخرون، المغرب العربي الحديث خلال المصادر، دط، مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، 2003م.
- ألتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيين، تر، محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية،1979م.
- أندري جوليا شارل، تاريخ افريقيا الشمالية، تع، محمد مزالي البشير بن سلامة، دط، دار التونسية، 1983م.
- بن العربي الصديق، كتاب المغرب، ط3، دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة، 1984م.
- بن خروف عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، ط2، ج1، دار الأمل ،2016م.
- بهاء الأمير، الدولة العثمانية والمغرب، دون أي معلومات النشر،2020م.
- الجمل شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، ط1، مكتبة الأنجو المصرية، 1977م.
- الجميعى عبد المنعم إبراهيم، الدولة العثمانية والمغرب العربي، دط، موسوعة الثقافية التاريخية والأثرية والحضارية الحضارية التاريخ القديم، دار الفكر العربي، 2006م.
- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، من بداية المرنيين الى نهاية السعديين، ط1، المجلد2، دار الرشاد الحديثة، 1978م.
- داهش محمد علي، الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف، جامعة الموصل كلية الاداب، دار الكتب العلمية، 2010م.

- دراج محمد، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس(1512م-1543م)، تصدير، ناصرالدين سعدوني، ط1، دار الأصالة،2012م.
- السيد محمود، تاريخ دولة المغرب العربي (ليبيا - تونس - الجزائر- المغرب - موريتانيا)، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م.
- شحاته ريه عطا الله محمد، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسين، ط1، دار الكلمة، 1999.
- الصلابي علي محمد محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001م.
- الصلابي محمد علي، صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، دط، عمان، دار البيارق، 1998م.
- ضيف شوقي، عصر الدولة والامارات الجزائر- المغرب الأقصى موريتانيا- السودان، ط1، دار المعارف، 1995م.
- عامر محمود علي، فارس محمد خير، تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الأقصى ليبية" ، دط، ج1، مكتبة الإسكندرية، 1999م-2000م.
- غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في التاريخ المغرب العربي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2006م.
- فكاير عبد القادر، الغزو الاسباني لسواحل الجزائرية1505م-1792م دراسة تتناول الأثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، دط، دس.
- فيلالي كمال، تاريخ المغرب الحديث من الفتح القسطنطينية (1453م-1837م) أساطير مؤسسة، هجرات، مؤسسات وثورات، ط3، دار ألكسندر،2018م.
- القبلي محمد، تاريخ المغرب، تحيين وتركيب، ط1، الرباط، 2011م.
- كريم عبد الكريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، دراسات تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، ط2، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية، 2006م.
- المراكشي عبد الواحد، معجم في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه وعلق حواشيه وأنشأ مقدمتها، محمد سعيد، محمد العربي العلمي، ط1، الاستقامة بالقاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، شارع محمد علي المصري، لصاحبها مصطفى محمد، 1949م.

- مروش المنور، القرصنة الأساطير والواقع دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، دط، ج2، دار القصبة، دس.
- مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)، ديوان المطبوعات الجامعية، 2013م.
- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا، لأخبار دولة المغرب الأقصى، الدولة المرينية، تح، تع، جعفر الناصري، محمد الناصري، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.
- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا، لأخبار دولة المغرب الأقصى، الدولة السعدية، تح، تع، جعفر الناصري، محمد الناصري، ج5، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955.
- نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، دار البعث، قسنطينة، 1985م، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2007م.

المجالات:

- أبلالي أسماء، "**التحرشات الاسبانية على سواحل الجزائرية خلال القرن 16م قراءة في الدوافع والنتائج**"، مجلة روافد للبحوث والدراسات الجامعية، العدد2، جامعة غرداية، 2017م.
- ابن قومار جلول**"المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السعدي 1578م-1603م"** مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد20،(175-181)،غرداية ،2014م.
- بودوخة إبراهيم، "**الأحوال العامة للمغرب الأقصى في مرحلة الحكم الوطاسي**" مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد2، العدد2، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2 بالجزائر،2023.
- التميمي عبد الجليل، المجلة التاريخية المغربية، عدد6، جويلية 1976م.
- جوامع سالم، زريوح عبد الحق، "**سياسة الباب العالي تجاه الصراع بين أبناء محمد الشيخ السعدي 1558م-1578م على ضوء الوثائق الأرشيفية**" المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مجلد6، العدد1، 2023.
- داهش محمد علي، "المغرب **في مواجهة التوسعية العثمانية ق16م مطلع ق17م**"، أداب الرافدين ، العدد34 .
- رفيق نيرة ، فتحي جلال، أعمال المؤتمر الدولي مصر ودولة البحر المتوسط عبر العصور، كلية الأثار، جامعة القاهرة، أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، 2014م.

لحلف زينب، " **العلاقات السياسية الجزائرية المغربية في عهد أحمد المنصور الذهبي (1578م-1603م)** " مجلة العبر التاريخية والأثرية فيشمال افريقيا، المجلد5 ،العدد3،جامعة الجزائر 2 أبو قاسم سعد الله، (509-529)،2022.

Contenu

فهرس المحتويات:

-شكر وعرفان

-الاهداء

-مقدمة 1

الفصل الأول :المغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث(1549م-1603م) .....

المبحث الأول:الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط (الجزائر) خلال القرن السادس عشر 9

1_ الضعف والانقسام السياسي..... 9

2_ الغزو الخارجي الاسباني ودوافعه. ..... .**Erreur ! Signet non défini**0

3_ بروز الاخوة بربروس في الحوض الغربي للمتوسط وانضمام الجزائر الى الدولة العثمانية. 12

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية للمغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر..... 14

1_ ضعف المرينيين وبروز الوطاسيين. 14

2_ الغزو البرتغالي الاسباني للمغرب الأقصى. 16

3-نهاية بني وطاس وبداية الدولة السعدية 21

المبحث الثالث : الصراع الوطاسي
السعدي.....23

1_ معركة انماى 1528م..... 24

3_ النزاع بين الاخوين السعديين احمد الاعرج ومحمد الشيخ. 25

4_معركة درنة 1545م. 27

الفصل الثاني: حروب الجزائر العثمانية مع المغرب الأقصى (1550م-1578م).....

المبحث الأول: حروب الفترة المتددة من سنة (1550م الى 1558م). 32

1-محمد الشيخ السعدي ومحاولة احتلال تلمسان في سنة 1550م..... 33

2- صراع بين أبو حسون الوطاسي ومحمد الشيخ على حكم المغرب الأقصى وتدخل الجزائر العثمانية
سنة 1554م..... 34

3- اتفاق محمد الشيخ السعدي مع الاسبان والبرتغال للقضاء على التدخل العثماني في المغرب الأقصى. 37
المبحث الثاني: حروب الفترة الممتدة من سنة (1558 م- الى 1576م). 39
1- اصطدام القوات السعدية في عهد عبد الله الغالب مع ايالة الجزائر. 41
1أ- معركة واد اللبن1558م. 40
2- لجوء عبد الملك وأحمد المنصور أبناء محمد الشيخ السعدي الى الجزائر العثمانية. 42
3- حملة ايالة الجزائر على المغرب الأقصى لاستعادة عرش عبد الملك السعدي سنة 1576م.....44
المبحث الثالث: حروب الفترة الممتدة ما بين(1578م-1581م) 48
1-معركة وادي المخازن (الملوك الثلاث) 1578م.....47
أ-أسباب المعركة. 47
ب-سير المعركة. 48
نتائج المعركة. 51
2-حملة علج علي على المغرب الاقصى1581م.....52
-الخاتمة..... 58
-الملاحق 63
-القائمة البيبليوغرافية..... 76
-الملخص 82

ملخص:

شهدت العلاقة بين إيالة الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة الممتدة من 1549م-1603م توترا وعدم الاستقرار، مع فترات قصيرة من الهدوء النسبي، فالجزائر التي كانت تحت السيادة العثمانية، والمغرب الأقصى تحت حكم السعديين الذين يتمتعون بشرعية دينية مستمدة من نسبهم الشريف. بعد الصراع الطويل بين السعديين والوطاسيين على عرش المغرب الأقصى تمكن محمد الشيخ السعدي سنة 1554م القضاء على الدولة الوطاسية وإنفرد بحكم المغرب، وكذلك محاولة تخلصه من القوى الخارجية بما في ذلك العثمانيين المتواجدين في الجزائر، إذ أنهم يرون التوسع العثماني في الجزائر يشكل تهديدا لهم، فكانت مدينة تلمسان منطقة نزاع بين إيالة الجزائر والمغرب الأقصى التي حاول محمد الشيخ السعدي السيطرة عليها سنة 1550م.بالمقابل حاول العثمانيين بشكل غير مباشر فرض سيطرتهم على المغرب الأقصى من خلال دعم أفراد الأسرة السعدية الذين لجأوا إليهم فرارا من الموت. وما كان يخفف من حدة التوتر بين الطرفين تعرضهم لتهديدات الخارجية من الدول المسيحية منها الإسبان والبرتغال. ففي سنة 1578م تحالفت القوات الجزائرية العثمانية مع عبد الملك السعدي للتصدي الحملة التي قادها الملك البرتغالي دون سبستيان على المغرب الأقصى، ويعتبر أول نصر حققه المغاربة على القوى الصليبية. ويمكن القول أن الفترة الممتدة من 1549م إلى 1603م تميزت بعلاقات سياسية وعسكرية متوترة بين إيالة الجزائر والمغرب الأقصى، فكان كل طرف يسعى لترسيخ سيادته وتوسيع نفوذه على حساب الأخر مما جعل العلاقة بينهما محكومة بالصراع والحذر.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأقصى،السعديين، الوطاسيين، إيالة الجزائر، الدولة العثمانية، الاسبان، البرتغال، الصراع، التحالف، الولاء.